رسائل النبي ﷺ
إلى الملوك والأمراء
"دراسة بلاغية"

إعداد

د/ محمد مصطفى محمود ليلة

الأستاذ المساعد في البلاغة والنقد بكلية

الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالقاهرة.

جامعة الأزهر.

رسائل النبي ﷺ إلى الملوك والأمراء.

"دراسة بلاغية"

محمد مصطفى محمود ليلة

قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين، جامعة الأزهر، القاهرة، مصر.

البريد الالكترونى: m.laila@ut.edu.sa

الملخص:

هذا البحث يتناول رسائل النبي –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– إلى الملوك والأمراء والتي يدعوهم فيها إلى الإسلام وعبادة الله وحده.

ويهدف إلى تحليل هذه الرسائل تحليلًا بلاغيًا من خلال استعراض السمات البلاغية المتنوعة لها، والسياقات المختلفة والتي روعي فيها مقتضى حال المخاطب؛ ليتمكين معناها في النفوس، محاولًا إبراز الأسرار البلاغية الكامنة وراءها.

وقد اعتمد البحث على المنهج التحليلي، وذلك بذكر الرسالة، وتخريجها من مظانها، وتحليلها تحليلًا بلاغيًّا مبينًا أسرار النظم وبلاغته، وبراعة البيان النبوي فيها وما امتازت به من سمات.

ومن أهم نتائج البحث: مناسبة ألفاظ كل رسالة مع مقام المرسل إليه ومخاطبة ما يجول في نفسه، ومجيئها صريحة واضحة المعنى مع ما امتازت به من إيجاز، وقد غلب فيها أسلوب التوكيد؛ لأن المرسل إليه ينكر بعثة النبي –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– ورسالته، وقد قلَّت فيها الصور المجازية؛

لأن المقام مقام دعوة إلى شريعة واضحة لا تتطلب الولوج إلى عالم الخيال، وجاءت مؤكدة على المعنى المراد.

الكلمات المفتاحية: (بلاغة، رسائل، النبي، الملوك، الأمراء).

Messages of the Prophet to kings and princes.

'Rhetorical study'

Muhammad Mustafa Mahmoud Laila

Department of Arabic Language and Literature, College of Islamic and Arabic Studies for Boys, Al-Azhar University, Cairo, Egypt.

Email: m.laila@ut.edu.sa

Abstract:

This research deals with the messages of the Prophet - may God bless him and grant him peace - to the kings and princes in which he invites them to Islam and the worship of God alone.

It aims to analyze these messages rhetorically by reviewing the various rhetorical features of them, and the different contexts in which the requirements of the addressee were taken into account; To enable its meaning in the souls, trying to highlight the rhetorical secrets behind them.

The research relied on the analytical method, by mentioning the message, extracting it from its contents, and analyzing it with rhetorical analysis showing the secrets of the systems and its rhetoric, and the ingenuity of the prophetic statement in it and its characteristics.

Among the most important results of the research: the appropriateness of the words of each message with the address of the addressee and addressing what is touring in himself, and its coming explicit and clear meaning with what it was distinguished for in terms of brevity, and the method of affirmation prevailed in it. Because the

addressee denies the mission of the Prophet - may God's prayers and peace be upon him - and his message, in which the allegorical images are few. Because the maqam is a call to a clear law that does not require access to the realm of imagination, and it emphasized the intended meaning.

Key words: (rhetoric, letters, the Prophet, kings, princes).

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، أنزل على عبده الفرقان ليكون للعالمين نذيرًا إلى يوم الدين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين..

وبعد:

فلقد أرسل الحق سبحانه نبيه – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– إلى الناس كافة، فكان رحمة للعالمين وهاديهم إلى صراطه المستقيم، وكان من مظاهر عالمية رسالة الإسلام رسائله إلى الملوك والأمراء والتي يدعوهم فيها إلى الإسلام وإلى عبادة الله وحده لا شريك له، حيث جاءت هذه الدعوة واضحة جلية لا لبس فيها ولا غموض، وجاء التأكيد فيها على أن إسلامهم سيحفظ لهم ملكهم وأموالهم فضلًا عن أنفسهم، بل سيؤتون أجرهم مرتين، وهذا مما يبعث الطمأنينة لديهم إن آمنوا، وقد خاطبت هذه الرسائل الملوك بألقابهم، ولم يتقدم فيها ذكر أحدهم أبدًا على رسول الله، وهي تبين كيفية تعامله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– مع الملوك والأمراء، مع ما فيها من بيان خلقه وحكمته وقيادته.

وقد اهتم المسلمون وغيرهم بهذه الرسائل قديمًا وحديثًا، وذلك بتوثيقها وحفظها واستنباط الأحكام منها، وكذا المهتمون بالقانون الدولي والتعامل الدبلوماسي، وتوارثوها تبركًا بها واعتزازًا وفخرًا.

وقد أظهرت هذه الرسائل النبوية هوية الإسلام إلى العالم وقدمتها في صورة بليغة موجزة بديعة موحية واشتملت على سمات وخصائص بلاغية كان لها عظيم الأثر في بيان دعوة الإسلام، ولذا كان موضوع هذا البحث: **(رسائل النبي ﷺ إلى الملوك والأمراء . "دراسة بلاغية")**، والمقصود

بالرسائل هي تلك الرسائل التي أرسلها للملوك والأمراء يدعوهم فيها إلى عبادة الله وحده لا شريك له، والإيمان به وبرسالته.

أهم الدراسات السابقة:

تناول بعض الباحثين رسائل النبي ﷺ إلى الملوك والأمراء من عدة نواح غير بلاغية ومن ذلك:

١-الأحكام الفقهية المستنبطة من رسائل النبي إلى الملوك والأمراء، للباحث/ جمعة يونس لافي، رسالة ماجستير بكلية الشريعة والقانون بالجامعة الإسلامية ببغداد، ٢٠٠٩م.

وقد جعلها الباحث على بابين: الباب الأول جعله للرسائل النبوية حيث عرفها وبين أركانها وخرجها من مظانّها الموثوقة، والباب الثاني جعله للأحكام الفقهية حيث قام باستنباط الأحكام الفقهية بموجب المذاهب الأربعة دون غيرها.

٢-دراسة مفتاحية للرسائل المحمدية، للأستاذ الدكتور/ محمد موسوني، جامعة تلمسان -الجزائر-٢٠١٩م.

وهو بحث مجلة صغير نشر في مجلة دراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد الرابع، حيث تناول فيه الباحث طبيعة الرسائل النبوية عمومًا، ومنهج رسائل النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وما تمتاز به هذه الرسائل.

٣-عالمية الإسلام ورسائل النبي ﷺ إلى الملوك والأمراء، للدكتور محمد أمين شاكر الحلواني، وغيره، الناشر دار القلم، دمشق.

وقد تناول الكتاب الحديث عن عالمية الإسلام، وعموم الرسالة، ومراحل الدعوة، وتحدث عن الرسائل من ناحية التعريف بالرسائل وبالكتّاب والسفراء، وتناول دراسة بعض الرسائل من ناحية هيأتها وتاريخها وتوثيقها ومكان وجودها، والردّ عليها.

وقد انتظم البحث في مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة.

أما المقدمة: ففيها أهميته، والدراسات السابقة، وخطته، والمنهج الذي تسير عليه الدراسة.

والتمهيد: فيشتمل على: تعريف الرسالة وبيان أنواعها، ورسائل النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– ورسله، وسمات تلك الرسائل.

والمبحث الأول: رسائل النبي ﷺ إلى الملوك والأمراء غير العرب.

والمبحث الثاني: رسائل النبي ﷺ إلى الملوك والأمراء العرب.

وأما الخاتمة: ففيها أهم نتائج البحث، ثم أعقبتها بفهرس للمراجع وآخر لموضوعات البحث.

منهج البحث:

اتبعت في هذا البحث المنهج التحليلي، حيث قمت بذكر الرسالة، وتخريجها من مظانها، ثم التحليل البلاغي لها وذلك ببيان أسرار النظم وبلاغته، وبراعة البيان النبوي فيها وما امتازت به من سمات وجمال في التعبير ودقة في التصوير وإيجاز في المنطق، دراسة كلية تهتم بتآزر الألوان البلاغية المختلفة في بيان المعنى المراد من الرسالة.

والله تعالى أسأل أن أكون قد وفقت في اختيار الموضوع ودراسته، وسلامة نتائجه، وأن يغفر لي الزلات، ويتجاوز عن العثرات، وأن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه، وأن ينفعني به، إنه ولى ذلك والقادر عليه.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الباحث.

التمهـــــــــيد

ويشتمل على:

- **تعريف الرسالة وبيان أنواعها.**
- **رسائل النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– ورسله.**
- **سمات تلك الرسائل.**

تعريف الرسالة:

الإِرْسَال: التَّوْجِيهُ، وَقَدْ أَرْسَلَ إِليه، وَالِاسْمُ الرِّسَالَة والرَّسَالَة والرَّسُول والرَّسِيل، وتَرَاسَل القومُ: أَرْسَلَ بعضُهم إِلى بَعْضٍ. والرَّسول. الرِّسالة والمُرْسَل، وأَرسَلَ يُرسِلُ رَسْلًا: بعث رسولا، من باب أفعَلَ وراسله فيه وعليه وبه مراسلة: بعث إليه رسالةً، فهو مراسلٌ ورسيل، وأرسل القومُ: كثر رسْلُهم وصاروا ذوي إرسال: أي قطائع. وأرسله من يده أو ملكه: أطلقه وأهمله. وهي في الأصل الكلام الذي أرسل إلى الغير.[1] فيدور معناها في اللغة حول الكلام الذي أرسِل إلى الغير في موضوع معين، كتابةً أو لسانًا.

وهي عبارة عن قطعة من النثر الفني تطول أو تقصر تبعًا لمشيئة الكاتب والغرض منها، وتكون كتابتها بعبارة بليغة وأسلوب حسن، وألفاظ منتقاة، ومعانٍ طريفة، وقد يتخللها بعض الآيات من القرآن والأحاديث النبوية الشريفة، أو بعض الأمثال والشعر.[2]

أنواع الرسائل:

عرفت الرسائل منذ الجاهلية في بعض البيئات التي عرفت فيها الكتابة، ولما جاء الإسلام كتب الرسول – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– إلى ملوك العرب

---

[1] – ينظر لسان العرب: (رسل)، تأليف ابن منظور، جمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرم (ت٧١١هـ) (طبعة دار صادر– بيروت، وكشاف اصطلاحات الفنون والعلوم:٨٥٩/١، لمحمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي (المتوفى: بعد ١١٥٨هـ)، تحقيق: د. علي دحروج، الناشر: مكتبة لبنان ناشرون – بيروت، ط١ – ١٩٩٦م.

[2] – ينظر الأدب العربي في الأندلس:٤٤٨، لعبد العزيز عتيق، طبعة دار النهضة العربية، بيروت، ط٢– ١٩٧٦م.

والعجم يدعوهم إلى الدين وتبعه الخلفاء من بعده ومن أشهر أنواع الرسائل اثنان:

١- **الرسائل الديوانية:** وهي ما تصدر عن الدواوين أو ترد إليها خاصة بشئون الدولة ومصالحها تيسيرًا للعمل، وتثبيتًا للنظام العام؛ ويغلب على هذا النوع، الدقة والسهولة في التعبير، والتقيد بالمصطلحات الحكومية والفنية، والمساواة في العبارة والبراءة من التهويل والتخيل؛ إذ كانت صورة موضوعات وزارية وأفكار خاصة، ومع ذلك كانت في العصور الإسلامية الأولى مجالًا للبلاغة، وحسن التقسيم والتعبير.

ويمكن أن تندرج رسائل النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– للملوك والأمراء تحت هذا النوع وإن لم يكن هناك انتشار لهذا المسمى إلا فيما تلا هذا العصر، مع حملها لملامحها وخصائصها الفنية، حيث تتجلى فيها الدقة وإصابة الهدف، والوضوح والإيجاز واتحاد مطلعها. كما يمكن أن تكون نوعًا من الرسائل السياسية وما تشتمل عليه من معاهدات وتحالفات، كما حدث مع النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– والمشركين، ورسائله لقادته ورسله، ورسائله للملوك والأمراء والدول المجاورة له.

٢- **الرسائل الإخوانية:** وهي ما يدور بين الأفراد في تعزية أو تهنئة أو توصية أو عتاب وشوق أو تحذير ووعيد إلى نحو ذلك مما يصور العواطف والصلات الخاصة بين الأفراد؛ لذلك كانت أدخل في الأدب وأقبل للتخييل، والصور البيانية، والصنعة البديعية، وتحتمل الاقتباس من المنثور والمنظوم

وتنافس الشعر في جل أغراضه، فالفرق بين النوعين يشبه الفرق بين الأدب العام والخاص.[1]

رسائل النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

تعد رسائل النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إلى الملوك والأمراء نقطة تحول في سياسة دولة الرسول الخارجية، مما عظّم من شأنها، حيث صار لها مكانة دينية وسياسية بين الدول، وما ذلك إلا للدلالة على عالمية دعوته، فقد كان يدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، يدعوهم إلى الدخول تحت راية الإسلام لا إلى شيء آخر، فالله تعالى قد أرسله إلى العالمين، قال تعالى: "وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ" الأنبياء: ١٠٧، وقال تعالى: "وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ" سبأ: ٢٨، وقال تعالى: "تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا" الفرقان:١. وقد كانت هذه الرسائل وسيلة دعوية مهمة لنشر الإسلام ودعوة الناس الذين لم يصلهم نبأ هذه الدعوة للدخول تحت راية التوحيد أو كانوا ينتظرون ظهورها.

وقد أرسل رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- رسائله إلى الملوك التي يدعوهم فيها إلى الإسلام، وكلّها كانت مكتوبة، والكتاب الذي أرسله إلى المقوقس ملك مصر قد وجد ملصقا بدفّة كتاب في أحد الأديرة المسيحية في مصر، ويغلب على الظنّ أنه هو أصل الكتاب المرسل من النّبيّ -صَلَّى اللهُ

[1] - ينظر الأسلوب: ١١٣. المؤلف: أحمد الشايب، الناشر: مكتبة النهضة المصرية، ط١٢-٢٠٠٣م.

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وخطّه عربيّ قديم، وعبارته وترتيب كلماته التي في الخاتم هي عين ما يروى في الأحاديث.[1]

ولم يكن في رسائل النبي –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– التهديد بقوة عسكرية أو زحف أحمر لا يرحم.. كانت الرسائل موجهة نحو الضمير والعقل.. كانت رسائل تهز من الداخل وتغزو من العمق فليس هناك من يستطيع اليوم تهديد هرقل أو كسرى.. لكنها رسالة الإسلام التي لا تعرف حدودًا.[2]

وقد أرسل النبي –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– رسائل كثيرة إلى أفراد وقبائل، وإلى رسله على بعض البلاد التي دانت له وأسلمت، وإلى أساقفة ورجال دين وغيرهم كثير. والذي يعنينا في هذا البحث هو تلك الرسائل التي أرسلها للملوك والأمراء يدعوهم فيها إلى التوحيد وعبادة الله وحده والإيمان بنبوته ورسالته.

وكثير من تلك الرسائل لا يزال باقيًا إلى يومنا هذا ووجد بعضها في بعض الكنائس والأديرة، وكانت هناك عناية فائقة بها وبحفظها، وكانت بعض القبائل والأسر تحتفظ بها تبرّكًا، وقد اهتم بها وبتوثيقها المؤلفون القدامى كعناية عروة بن الزبير المتوفى عام ٩٤هـ بها، وكذا عبد الله بن أبي بكر بن عمرو بن حزم المتوفى عام ١٣٠هـ، وقد عني بها من بعدهم

---

[1] – ينظر الرسالة المحمدية:٧٠، السيد سليمان الندوي الحسيني (المتوفى: ١٣٧٣هـ)، الناشر: دار ابن كثير – دمشق، ط١ – ١٤٢٣ هـ

[2] – السيرة النبوية كما جاءت في الأحاديث الصحيحة:٣/٣٢٠. لمحمد بن حمد الصوياني، الناشر: مكتبة العبيكان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٤ م.

المؤرخون عناية شديدة، وكذا المحدثون.. وعليه فما تم دراسته هو ما اطمأنت إليه النفس من خلال ما نصّ عليه القدامى والمحققون..[1]

والناظر إلى تلك الرسائل يجد أنها تتفق كل الاتفاق مع ما شاع من تعريف البلاغة بأنها مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته وفصاحة أجزائه، فجلّ هذه النصوص يُعدّ موادًا قانونية أرسلت للفصل في أمر يجب الاتفاق عليه، فليس مجالها مجال أدب ترفده العاطفة ويوشيه الخيال، ولكنها شروط محددة تلتزم الدقة البالغة في التعبير ولا تسمح للفظ أن يتجاوز موضعه الحقيقي إلى صورة خيالية تكون فيما بعد مثارًا للخلاف... وجلّ رسائله شروط سياسية رسمية تُلْتَزم نصوصها، وتكون حجة لدى النزاع، فكل توشية خيالية فيها تنافي التحديد الواجب، وتحيد عن مقتضى الحال إلى غير مقتضى الحال، وبهذا الوضع الدقيق المجرد تقوم برسالتها المنشودة على نحو لا يقوم به سواها في شيء.[2]

---

[1] – ينظر مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة: ١٠٠ وما بعدها، لمحمد حميد الله الحيدر آبادي الهندي (المتوفى: ١٤٢٤هـ)، دار النفائس – بيروت، ط٦– ١٤٠٧هـ. ونشأة الكتابة الفنية في الأدب العربي:٤٢، د/حسين نصار، مكتبة الثقافة الدينية، ط٢٠٠٢،١هـ. والمغازي الأولى ومؤلفوها:٣٧، لهوروفتس، ترجمة: د/حسين نصار، طبعة مكتبة الخانجي، القاهرة. عالمية الإسلام ورسائل النبي (ص) إلى الملوك والأمراء: ٩٧ وما بعدها، د/محمد أمين شاكر الحلواني وغيره، دار القلم، دمشق.

٢ – ينظر البيان النبوي:١١٢، د/ محمد رجب البيومي، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع بالمنصورة، ط٢، ٢٠٠٢م.

رُسُل النبي –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

انطلقت مواكب الرسل التي أرسلها النبي –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– تحمل بين جنباتها بشائر نور الإيمان والتوحيد والسلام وذلك من خلال تلك الرسائل إلى الملوك والأمراء تدعوهم فيه إلى عبادة الله وحده لا شريك له واتباع هدي النبي –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– مما يدل على مدى حرصه – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– على إسلام هؤلاء الملوك وأتباعهم، وهدايتهم وإبلاغ دعوته إليهم.

وهذه الرسائل مع إيجازها لا تشرح قواعد الإسلام مع قوم يجهلونه ولذا كان اختيار النبي –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– لرسله قائمًا على مواصفات رباهم عليها، فهم ينوبون عنه في حمل الرسالة وتبليغ دعوة الله –تعالى– لمن أرسلوا إليهم، وقد تحملوا الأمانة، ولديهم من الإيمان وجميل الصفات ما يجعلهم يؤدونها على أكمل وجهها، فقد كانوا يتحلون بالعلم والحلم، والصبر والشجاعة، والحكمة وحسن التصرف، وحسن المظهر وجميل المخبر، وقد كان لديهم خبرة واسعة بتلك البلاد التي أرسلوا إليها وعلم بملوكهم ولغتهم وذلك من خلال تجاراتهم وما اكتسبوه خلالها من معرفة بطبيعة تلك المجتمعات.

وقد بعث رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– رسله قبل الفتح وبعد الحديبية، في أواخر السنة السادسة، وبداية السنة السابعة من الهجرة وذلك إلى الملوك والأمراء:

١– فبعث دحية بن خليفة الكلبى، إلى قيصر ملك الروم، واسمه هرقل.

٢– وبعث عبد الله بن حذافة السهمي إلى كسرى أبرويز بن هرمز، ملك الفرس.

٣- وبعث عمرو بن أمية الضمري، إلى النجاشي ملك الحبشة.

٤- وبعث حاطب بن أبي بلتعة اللخمي، إلى المقوقس صاحب الإسكندرية، ومصر.

٥- وبعث عمرو بن العاص؛ إلى جيفر وعياذ ابني الجلندي الأزديين، ملكي عمان.

٦- وبعث سليط بن عمرو أحد بنى عامر بن لؤي، إلى هوذة بن على، الملك على اليمامة، وإلى ثمامة بن أثال، الحنفيين.

٧- وبعث العلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن ساوى العبدى ملك البحرين.

٨- وبعث شجاع بن وهب الأسدي، من أسد خزيمة، إلى الحارث ابن أبى شمر الغساني، وابن عمه جبلة بن الأيهم، ملكي البلقاء من عمل دمشق.

٩- وبعث المهاجر بن أبى أمية المخزومي، إلى الحارث بن عبد الملك الحميري، أحد مقاولة اليمن.

١٠- وبعث معاذ بن جبل إلى جملة اليمن، داعيا إلى الإسلام، فأسلم جميع ملوكهم، كذي الكلاع وذي ظليم وذي زرود وذي مران وغيرهم.

وأسلم سائر الملوك وأسلم قومهم، حاشا قيصر والمقوقس وهوذة وكسرى والحارث بن أبى شمر والنجاشي، وهو غير الذي هاجر إليه أصحاب رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مات ذلك -رضوان الله عليه- مسلمًا، وأتى الوحي إلى رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بموته، فنعاه إلى المسلمين، وخرج بهم إلى البقيع، وصف أصحابه صفوفا، وصلى عليه، وكبر عليه

أربعا، وكان يكتم قومه إسلامه خوفا منهم. وتأخر إسلام ثمامة بن أثال، ثم أسلم مختارًا بعد ذلك. وأما قيصر فهمّ بالإسلام، فغلبه قومه، فلم يسلم.

وأما المقوقس فقارب، وهادى رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– (مأبورًا) وهو عبد مجبوب، والبغلة الشهباء، التي كانت تسمى الدلدل، وجاريتين: إحداهما ماريـة أم ولد رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والأخرى أختها سيرين، وهبها رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– لحسان بن ثابت –رضي الله عنه– وأما كسرى فكان أقبح القوم ردًا، ومزّق كتابه، فدعا عليه رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فمزق الله ملكه أولا، ثم ملك الفرس جملة. وكان صلوات الله وسلامه عليه له رسل كثر إلى قبائل العرب والأثاقفة.[1]

سمات الرسائل النبوية:

أورد ابن سعد في طبقاته: أن رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – لما رجع من الحديبية في ذي الحجة سنة ست أرسل الرسل إلى الملوك يدعوهم إلى الإسلام وكتب إليهم كتبا. فقيل: يا رسول الله إن الملوك لا يقرأون كتابا إلا مختوما. فاتخذ رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – يومئذ خاتمًا من فضة. فصّه منه. نقشه ثلاثة أسطر: محمد رسول الله. وختم به الكتب.[2]

وقد تميزت رسائله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– بعدة سمات منها:

---

[1] –ينظر جوامع السيرة: ٢٣ وما بعدها. المؤلف: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.

[2] – الطبقات الكبرى:١/٢٥٨. لابن سعد، محمد بن سعد بن منيع الزهري (ت ٢٣٠هـ) تحقيق د٠ علي محمد عمر، مكتبة الخانجي – القاهرة، ط١، ١٤٢١هـ / ٢٠٠١ م .

١- كان يضع عنوانًا لرسائله هو: "من محمد رسول الله إلى فلان"، ويجعل العنوان قسمين، مفصول بينهما مثل: "من محمد رسول الله.. إلى فلان".

٢- كان يصدر رسائله بـ"بسم الله الرحمن الرحيم" يقول ابن حجر: جمعت كتبه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الملوك، وغيرهم، فلم يقع لي شيء منها البداءة بالحمد، بل بالبسملة.

٣- كان يبدأ رسائله بعد البسملة بذكر اسمه -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- واسم المرسل إليه، أو شهرته فإن كان المكتوب إليه ملكًا كتب بعد ذكر اسمه عظيم قوم كذا، وربما كتب ملك قوم كذا، وربما كتب صاحب مملكة كذا، وكان يعبر عن نفسه -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في أثناء كتبه بلفظ الإفراد، مثل: إني، ولي، وجاءني، ووفد علي، وما أشبه ذلك، وربما أتى بلفظ الجمع مثل: بلغنا، وجاءنا، ونحو ذلك، وكان يخاطب المكتوب إليه عند الإفراد بكاف الخطاب، مثل: لك، وعليك، وتاء المخاطب مثل: أنت قلت كذا وكذا، وجعلت كذا، وعند التثنية بلفظها مثل: أنهما، ولكما، وعليكما، وعند الجمع، بلفظه مثل: أنتم، ولكم، وعليكم، وما أشبه ذلك.

٤- كان -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يكتب في بعض رسائله: أما بعد، ويضعها فاصلة بين المقدمة وعرض الموضوع.

٥- امتازت الرسائل بالبلاغة العالية، المتمثلة في الإيجاز في اللفظ مع تضمينه المعنى المطلوب، مع عذوبة الأسلوب وجمال السبك.

٦- الدعوة إلى توحيد الخالق سبحانه ونبذ الشرك، وتضمين بعضها بعض الآيات من القرآن التي تدعو إلى الحوار مع أهل الكتاب، وأن من يؤمن منهم يؤتى أجره مرتين.

٧- كان يختم رسائله: بالسلام، فيقول لأهل الكفر، والسلام على من اتبع الهدى، ويكتفي في بعضها بقوله والسلام.

٨- كانت الرسائل تذيل باسم كاتبها، وبخاتم رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- المكتوب فيه "محمد رسول الله" تكتب على ثلاثة أسطر في كل سطر كلمة "محمد" "رسول" "الله" من أسفل إلى أعلى، ليكون لفظ (الله) هو الأعلى.[١]

[١] - ينظر فتح الباري:٦٨/٨، لأحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، تحقيق: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، الناشر: دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩هـ. والسيرة النبوية والدعوة في العهد المدني:٥١٤، لأحمد أحمد غلوش، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٤م.

المبحث الأول: رسائل النبي ﷺ إلى الملوك والأمراء غير العرب.

كانت دعوة الأنبياء قبل مبعث النبي- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- تقتصر على أقوامهم ولا تتجاوز حدود تلك الأوطان والبيئات، وقد أرسل الله نبيه إلى الناس كافة فتجاوزت دعوته حدود الزمان والمكان، فهي دعوة الله إلى الإنسانية جمعاء حتى قيام الساعة. بل تجاوزت عالَم الإنس إلى عالَم الجن وختم برسالته الرسالات السابقة، وجعل دينه الدين الحق الذي ارتضاه للناس جميعًا، فهو يشمل كل شؤون الحياة، وقد تخطّت دعوته حواجز الأمم والشعوب، وشملت كلّ الأجناس واللغات. ولذا وجدنا النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يرسل برسائل للملوك والأمراء غير العرب يدعوهم وقومهم للإسلام ومن ذلك..

أولًا: رسالته ﷺ إلى النجاشي ملك الحبشة. [1]

أرسل النبي برسائل إلى ملك الحبشة وذلك قبل الهجرة وبعدها، قال ابن إسحاق: فلما رأى رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ما يصيب أصحابه من

---

[1] – النَّجَاشِيّ مَلِكِ الحَبَشَةِ وَاسْمُهُ: أَصْحَمَةُ، مَلِكُ الحَبَشَةِ، مَعْدُوْدٌ فِي الصَّحَابَةِ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُم – وَكَانَ مِمَّنْ حَسُنَ إِسْلاَمُهُ، وَلَمْ يُهَاجِرْ، وَلاَ لَهُ رُؤْيَةٌ، فَهُوَ تَابِعِيٌّ مِنْ وَجْهٍ، صَاحِبٌ مِنْ وَجْهٍ. وَقَدْ تُوُفِّيَ فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَصَلَّى عَلَيْهِ بِالنَّاسِ صَلاَةَ الغَائِبِ وَسَبَبُ ذَلِكَ: أَنَّهُ مَاتَ بَيْنَ قَوْمٍ نَصَارَى، وَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ مَنْ يُصَلِّي عَلَيْهِ؛ لأنالصَّحَابَةَ الَّذِيْنَ كَانُوا مُهَاجِرِيْنَ عِنْدَهُ خَرَجُوا مِنْ عِنْدِهِ مُهَاجِرِيْنَ إِلَى المَدِيْنَةِ عَامَ خَيْبَرَ. ينظر سير أعلام النبلاء:٤٢٨/١. لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى : ٧٤٨هـ)، المحقق : مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة : الثالثة، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م.

البلاء وما هو فيه من العافية بمكانه من الله ومن عمه أبي طالب وأنه لا يقدر على أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء قال لهم لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكًا لا يظلم عنده أحد، وهي أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجا فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– إلى أرض الحبشة، مخافة الفتنة وفرارا إلى الله بدينهم فكانت أول هجرة في الإسلام. [1]

وقد بَعَثَ رَسُولُ اللهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– عَمْرَو بْنَ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيَّ إِلَى النَّجَاشِيِّ فِي شَأْنِ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَأَصْحَابِهِ، وَكَتَبَ مَعَهُ كِتَابًا جاء فيه: "**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ إِلَى النَّجَاشِيِّ أَصْحَمَةَ مَلِكِ الْحَبَشَةِ، سَلَامٌ عَلَيْكَ، فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللهَ الْمَلِكَ الْقُدُّوسَ الْمُؤْمِنَ الْمُهَيْمِنَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رُوحُ اللهِ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ الْبَتُولِ الطَّيِّبَةِ الْحَصِينَةِ، فَحَمَلَتْ بِعِيسَى، فَخَلَقَهُ مِنْ رُوحِهِ وَنَفَخَهُ كَمَا خَلَقَ آدَمَ بِيَدِهِ وَنَفَخَهُ، وَإِنِّي أَدْعُوكَ إِلَى اللهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَالْمُوَالَاةِ عَلَى طَاعَتِهِ، وَأَنْ تَتَّبِعَنِي وَتُؤْمِنَ بِي وَبِالَّذِي جَاءَنِي، فَإِنِّي رَسُولُ اللهِ، وَقَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكُمُ ابْنَ عَمِّي جَعْفَرًا، وَمَعَهُ نَفَرٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَإِذَا جَاءُوكَ فَاقْرِهِمْ وَدَعِ**

[1] – ينظر سيرة ابن هشام:٣٢١/١. لعبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: ٢١٣هـ)، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الإبياري وعبد الحفيظ الشلبي، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الثانية، ١٣٧٥هـ – ١٩٥٥م.

التَّجَبُّرَ فَإِنِّي أَدْعُوكَ وَجُنُودَكَ إِلَى اللهِ وَقَدْ بَلَّغْتُ وَنَصَحْتُ فَاقْبَلُوا نَصِيحَتِي، وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى"[1]

تأتي هذه الرسالة قمة في البلاغة والبيان، روعي فيها مقتضى حال المخاطب، ومنزلته ومكانته واتجاهه الديني، فالنجاشي من أهل الكتاب يؤمن بالمسيح عليه السلام وبأمه مريم العذراء ولديه معرفة عن بدء الخليقة وعن آدم –عليه السلام– وكل ذلك بما يتوافق مع تعاليم الإسلام، فجاء مفتتح هذه الرسالة بالبسملة حيث يستحب تصدير الكتب وغيرها بها، وبيان المرسِل والمرسَل إليه: **(مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ إِلَى النَّجَاشِيِّ أَصْحَمَةَ مَلِكِ الْحَبَشَةِ)** حيث بيّن صفته –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– بأنه مرسل من عند الله، ونزّل النجاشي منزلته فهو ملك الحبشة، ولا يخلو ذلك من الإكرام في المخاطبة ولين في القول وتأليف للقلب لمن يقبل على دعوته للدين الحق. ولا يخفى ما فيه من براعة استهلال تستميل قلب المخاطب وتجذبه إلى الغاية التي أرادها النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

---

[1] – تاريخ الرسل والملوك– للطبري: ٢/ ٦٥٢، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٤، دار المعارف القاهرة، وأسد الغابة في معرفة الصحابة: ١/ ٦٢، تأليف: ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم الجزري المعروف بابن الأثير (ت٦٣٠هـ، المكتبة الإسلامية– طهران ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٦م، والبداية والنهاية: ٣/ ٨٣. ودلائل النبوة للبيهقي: ٣٠٩/٢، وصبح الأعشى في صناعة الإنشا: ٣٧٩/٦، وإمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع: ١/ ٣٠٣– ٣٠٤، ومجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الرائدة: الوثيقة (٢١) ص٧٥. والسفارات النبوية: ص٤١.

وقوله: "**سَلَامٌ عَلَيْكَ**" وفي بعض الروايات والمصادر: "**سِلْمٌ أَنْتَ**" بتقديم المسند دعاءً له بالسلامة، وهذا من براعة الاستهلال في البيان النبوي وله عظيم الأثر في جذب انتباه المخاطب واطمئنانه، وفي التنكير دلالة على التكثير والتعظيم، فقد سلم المهاجرون إليه على أنفسهم وأعراضهم ودينهم وأكرم وفادتهم، وقد كان لديه علم بالنصرانية وهدته للإسلام. كما لا يوجد فيه تهديد ووعيد لعلمه –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– بقبوله الإسلام، فقد آوى الصحابة المهاجرين إلى بلاده مما يدل على قناعته بالإسلام.

ولعظم منزلته وجميل فعله خصّه النبي –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– بأن حمد الله وشكره وأثنى عليه نيابة عنه في الحمد والثناء بسبب ما أنعم الله به عليه وذلك في قوله: " **فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللهَ**" وفي ذلك ترقيق وإيناس له وتشويق، كما أن فيه حثًا له على الحمد، وقد أكّد له الخبر بأكثر من مؤكد (إنّ، وتقديم المسند إليه على خبره الفعلي الذي أفاد تأكيد الخبر واختصاصه بحمد الله له، أكّد هذا الاختصاص تقديم الجار والمجرور "**إِلَيْكَ**" على المفعول) كما أن مضارعية الصيغة في قوله: "**أَحْمَدُ**" تدل على تجدد حمده –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وثنائه له، وفي هذا إيحاء بإسلامه وهدايته للإيمان. ويمكن حمله على الأمر الذي جاء في صورة الخبر المؤكد أي: احمد الله واشكره على جميل فضله عليك؛ مؤانسةً وتلطفًا وترويضًا للنَّجاشي بالاستجابة وحسن الامتثال، وذلك بأسلوب لين رقيق، وإذا كان النبي –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قد حمد الله وشكره نيابة عنه فالأولى أن يحمد هو الله تعالى ويثني عليه بما أولاه من نعم.

وفي تعدد أسماء الله الحسنى في قوله: "**الْمَلِكَ الْقُدُّوسَ الْمُؤْمِنَ الْمُهَيْمِنَ**" ضرب من الذكر والثناء والحمد الذي يحمده خير الخلق للنجاشي

(أصحمة) ملك الأحباش، ثم إن اختيار هذه الأسماء ضرب من الملاءمة الخفية، فلم يقل مثلًا: القهار الجبار المتكبر.. ولكنه ذكر من الكمالات المطلقة الملك القدوس المؤمن المهيمن، وهذه الكمالات المطلقة لا يتسع الوجود إلا لواحد منها، كما ذكر (أستاذنا الدكتور أبو موسى) فلا يُتصور في الوجود ملِك مطلق الملك ليس لملكه حدود إلا ملك واحد، وكل ملك بعد هذا الملك وكل قداسة بعد هذه القداسة وكل هيمنة بعد هذه الهيمنة إنما هي ناقصة لا محالة؛ لأن الكمالات المطلقة لا تتعدد، ولو تعدَّدت لم تُعَد كمالات، فلو اتسع الوجود لملكين لم يكونا قط مالكين ملكًا كاملًا؛ لأن الملك الكامل يوجب لا محالة أن يكون أحدهما في حوزة الآخر، وفي هذا إيماء وتذكير للملك بأنه مهما كان في ملكه وقداسته وهيمنته فهو في قبضة وتصريف مالك الملك القدوس المؤمن المهيمن.[1]

وفي ذكر مزيد من أسماء الله الحسنى بثّ للطمأنينة لدى النجاشي ومنحه القوة اللازمة لاتخاذ القرار المناسب بإيمان راسخ وبلا تردد.

وكما حمد الله إليه بيّن له حقيقة عيسى – عليه السلام– وخاطب العقيدة النصرانية التي لم يداخلها فساد ولا تبديل، وبين المعنى الجامع بين الإسلام والنصرانية، وأنه خاتم الأنبياء والمرسلين يشهد بما يشهد به من صح دينه من النصارى وذلك بقوله: "**وَأَشْهَدُ أَنَّ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رُوحُ اللهِ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ الْبَتُولِ الطَّيِّبَةِ الْحَصِينَةِ، فَحَمَلَتْ بِعِيسَى، فَخَلَقَهُ مِنْ رُوحِهِ وَنَفْخَهُ كَمَا خَلَقَ آدَمَ بِيَدِهِ وَنَفَخَهُ**" وفي هذا من التناسب والاقتراب والمؤانسة

[1] – ينظر شرح أحاديث من صحيح البخاري:٤٧٧، د/ محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، ط٢، ٢٠٠١م.

والملاطفة ما فيه، كما أنه يقسم على ذلك؛ لأن قوله: "**أَشْهَدُ**" من الأيمان، وقد نبه بذلك إلى ما يجب أن يراعى في تصحيح عقيدة النصارى، حيث شرح أمر عيسى –عليه السلام– وأنه رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول[1] وروح منه، وبهذه الصورة التشبيهية " **فَخَلَقَهُ مِنْ رُوحِهِ وَنَفَخَهُ كَمَا خَلَقَ آدَمَ بِيَدِهِ وَنَفَخَهُ**" أشار إلى موطن الزلل وهو عجزهم عن استيعاب أن يولد عيسى –عليه السلام– بدون أب، فذكر آدم –عليه السلام– وأن الأمر فيه أعجب؛ لأنه ولد من غير أم ولا أب، وأن عيسى وآدم –عليهما السلام– إنما ولدا بنفخة من الله سبحانه وروحٍ منه جلّ شأنه.[2] كما ورد ذلك في قوله تعالى: " إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ" آل عمران:٥٩. وفي هذا مزيد من الإيضاح والتفصيل، وتشبيه للغريب بالأغرب ليكون أوقع في النفس وأدعى للقبول والتسليم. ولذا يقول الإمام الزمخشري: شبه عيسى بآدم أي: خلق آدم من تراب ولم يكن ثمة أب ولا أم، وكذلك حال عيسى. فإن قلت: كيف شبه به وقد وجد هو من غير أب، ووجد آدم من غير أب وأم؟ قلت: هو مثيله في إحدى الطرفين، فلا يمنع اختصاصه دونه بالطرف الآخر من تشبيهه به؛ لأن المماثلة مشاركة في بعض الأوصاف، ولأنه شبه به لأنه وجد وجودًا خارجًا عن العادة

---

[1] – سمّيت مَرْيم البَتُول لانقطاعها عن الأَزواج وعن نظراءِ زمانها، ففاقت نساءَ عالَمِها شرفًا وفضلًا. ينظر بصائر ذوي التمييز:٣٢٣/٢، المفردات: (بتل). المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ)، المحقق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٢هـ.

[2] – ينظر شرح أحاديث من صحيح البخاري:٤٧٩.

المستمرة، وهما في ذلك نظيران، ولأن الوجود من غير أب وأم أغرب وأخرق للعادة من الوجود بغير أب، فشبه الغريب بالأغرب ليكون أقطع للخصم وأحسم لمادة شبهته إذا نظر فيما هو أغرب مما استغربه. [1]

ويقول أستاذنا الدكتور أبو موسى: " وبناء الكلام على الإيضاح بعد الإبهام من المزايا البلاغية في صياغة العبارة، وأمسها بطبائع النفس، فقد فطر الله الناس على التعلق بما يجهلون مما يلوح لهم منه طرف من العلم والانكشاف، أما ما لا يلوح منه هذا الطرف فإن الناس في غفلة عنه، والأسلوب المختار هو الذي يهتدي إلى فطرة هذه النفس، ويأتيها من جهتها، وحينئذ يمتلك زمامها وتسلس له قيادها"[2].

وكل ما سبق بمنزلة مقدمة وتمهيد لتصحيح عقيدة النصارى في شأن عيسى –عليه السلام– ليكون ذلك وسيلة لدعوته إلى توحيد الله في العبادة حيث عطف على ما سبق قوله: "**وَإِنِّي أَدْعُوكَ إِلَى اللهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَالْمُوَالَاةِ عَلَى طَاعَتِهِ** " فدعاه إلى عبادة الله وحده، ولننظر إلى لطف ورقة قوله: "**أَدْعُوكَ**" وإلى لين القول مع المدعو، دون أن يقول: آمرك مثلًا.. وأثر ذلك في قبوله لتلك الدعوة والإصغاء إليها، وبيان ما تشتمل عليه من سبيل

---

[1] – الكشاف: ٣٦٧/١، المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧ هـ. وينظر فتح القدير: ٣٩٧/١. لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، ط١ – ١٤١٤هـ.

٢ – خصائص التراكيب دارسة تحليلية لمسائل علم المعاني: ٣٤٩، د/ محمد محمد أبو موسى، ط٧، الناشر/ مكتبة وهبة، القاهرة.

نجاته وقومه. وقد أكّد له الخبر بأكثر من مؤكد (إنّ، وتقديم المسند إليه (ضمير المتكلم) على خبره الفعلي (**أَدْعُوكَ**) الذي أفاد تأكيد الخبر واختصاصه –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– بدعوته وفي ذلك تشريف له، كما أن توجيه الدعوة للنجاشي فقط وذلك في البداية دون قومه، فلم يقل: أدعوكم مثلًا بضمير الجمع؛ ليضعه في موقف المسئولية وإعلاءً لشأنه، فإن في إيمانه إيمان قومه، وفي هذا حثّ له على الاستجابة والطاعة. ومضارعية الصيغة في قوله: " **أَدْعُوكَ**" تدل على تجدد دعوته –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– له ولقومه بالدخول في الإسلام.

وتتجلى براعة البيان النبوي في تأكيد وحدانية الله بقوله:" **وَحْدَهُ**" وبقوله: "**لَا شَرِيكَ لَهُ**" تأكيدًا للوحدانية ونفيًا لكل ضروب الشرك وأنواعه. وهذا مما يتناسب مع الرد على النصارى القائلين بالتثليث وغيره، وهذا يعدّ من دقة البيان النبوي في التأكيد والردّ على المخالفين.

وقوله: "**وَالْمُوَالَاةِ عَلَى طَاعَتِهِ**" تومئ إلى إسلامه أو قرب دخوله فيه؛ لأن الموالاة على الطاعة والمتابعة لا تكون إلا ممن حصَّل أصل الدين، وقد أكّد ذلك مضارعية الصيغة وقد آثرها عن المصدر (الاتباع والإيمان) وذلك في قوله: "**وَأَنْ تَتَّبِعَنِي وَتُؤْمِنَ بِي وَبِالَّذِي جَاءَنِي**" لتدل على تجدد الاتباع والإيمان واستمرارهما، فالله تعالى قد أمر المؤمنين بالاتباع وأمرهم بالإيمان ليثبتوا وليستمروا عليه، قال تعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ" النساء:١٣٦. وقال تعالى: " اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ" الأنعام:١٠٦. وقال تعالى: " وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا" الأحزاب:٢. ولذا خصّه بهذه الدعوة حيث دعاه إلى

عبادة الله وحده والموالاة على الطاعة واتباعه والإيمان به وبما أرسل به حيث كنّى عنه بقوله: "**الَّذِي جَاءَنِي**" وأكدّ ذلك ورتبه عليه بقوله: "**فَإِنِّي رَسُولُ اللهِ**" وأوصاه خيرًا بابن عمه وبالصحابة الذين معه وبأن لا يتجبر.

وجدد الدعوة وأتى بدعوة خاصة لجنود النجاشي؛ لأن الرسول – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – يعلم علم اليقين أن مَن حوله من الحاشية ومستشاريه والرهبان لا يرضون بالإسلام دينًا، فلهم مصالح شخصية فقال: " **فَإِنِّي أَدْعُوكَ وَجُنُودَكَ إِلَى اللهِ وَقَدْ بَلَّغْتُ وَنَصَحْتُ فَاقْبَلُوا نَصِيحَتِي، وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى**" وقد أكد دعوته لهم بأكثر من مؤكد وأنه مستمر في نصحه وتبليغ دعوة ربه، وهذه رسالته ورسالة الأنبياء قبله، التبليغ والنصح والإرشاد لهداية الناس لصراط الله المستقيم، وقد أكّد نصيحته لهم، وعليهم أن يستجيبوا لنصحه ولذا قال: " **فَاقْبَلُوا نَصِيحَتِي**" حيث عطفها بفاء السرعة دلالة على طلب ذلك منهم بدون تراخ. والتعبير بلفظ النصيحة " **نَصِيحَتِي**" مما يظهر حرصه – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – على هدايتهم، فالإنسان لا ينصح إلا من يحبه ويخاف عليه، وفي هذا حمل لهم على الاستجابة، ولذا أعقب ذلك وختم به رسالته بقوله: "**وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى**" فالسلام والأمان لمن قبل نصحه وآمن بما جاء به، وبمفهوم المخالفة فلا سلام ولا أمان لمن أعرض ولم يؤمن ولم يقبل النصيحة. والتعبير بالنصيحة يدل على حرص النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – على هدايتهم وحب الخير لهم.

والناظر في هذه الرسالة يجد أنها صيغت بدقة وحكمة وتلطف وترقق، يتناسب ذلك مع شخصية المدعو (النجاشي) وما عرف عنه من حبه للمسلمين، وفيها تناسق وترابط عجيب بين مفرداتها وجملها، وفيها إيضاح وتفصيل وبيان للحقائق المشتركة بين الأديان، وفيها تقديم النصح والدعوة

بقبول الإسلام دون تهديد ولا وعيد لمن عرف عنه قناعته بالإسلام، وقد استخدم النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فيها كثيرًا من الألوان البلاغية وكان أبرزها التشبيه والتأكيد وبراعة الاستهلال، فضلًا عن حسن اختيار الصيغ والتراكيب وصولًا إلى ترقيق قلب النجاشي وجنوده واستمالتهم لهذا الدين الحنيف.

¤ ¤ ¤ ¤ ¤

ثانيًا: رسالته ﷺ إلى هرقل عظيم الروم. [1]

رُوِيَ عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَبَّاسٍ –رَضِيَ الله عَنْهُمَا– أَنَّ رَسُولَ الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– كَتَبَ إِلَى قَيْصَرَ يَدْعُوهُ إِلَى الْإِسْلَامِ وَبَعَثَ بِكِتَابِهِ إِلَيْهِ مَعَ دِحْيَةَ الْكَلْبِيِّ وَأَمَرَهُ رَسُولُ الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– أَنْ يَدْفَعَهُ إِلَى عَظِيمِ بُصْرَى لِيَدْفَعَهُ إِلَى قَيْصَرَ....وفِيهِ: " **بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِن مُحَمَّدٍ عَبْدِ الله وَرَسُولِهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ، سَلَامٌ عَلَى مَن اتَّبَعَ الْهُدَى، أَمَّا بَعْدُ: فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الْإِسْلَامِ، أَسْلِمْ تَسْلَمْ، وَأَسْلِمْ يُؤْتِكَ الله أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ، فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَعَلَيْكَ إِثْمُ الْأَرِيسِيِّينَ، وَيَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ**

[1] – هو هرقل قيصر الروم الإمبراطور البيزنطيّ، كان يحكم إمبراطورية واسعة، توزّعت مع الإمبراطورية الإيرانية –العالم المتمدّن في ذلك اليوم– وحكمت نصف العالم تقريبا، وكانت لها ولايات واسعة غنيّة متمدنة راقية، في القارات الثلاث: أوربا، وآسيا، وإفريقيا، وخلفت الدولة الرومية الكبرى التي خضع لها العالم القديم.. ينظر السيرة النبوية لأبي الحسن الندوي:٣٩٨. علي أبو الحسن بن عبد الحي بن فخر الدين الندوي (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: دار ابن كثير – دمشق، الطبعة: الثانية عشرة – ١٤٢٥هـ.

سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا الله وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِن دُونِ الله فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ".[1]

جاءت هذه الرسالة موجزة بليغة واضحة محكمة السبك بديعة النظم، حيث بدأت بالبسملة فبيان المرسِل والمرسَل إليه: "**بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِن مُحَمَّدٍ عَبْدِ الله وَرَسُولِهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ**" أي: هذا المكتوب من محمد، ففيها إيجاز بالحذف للإسراع ببيان حقيقة المرسِل ليكون أقرب للاتباع، فهو عبد الله ورسوله، أو التقدير: من محمد سلام بتقديم المسند لبيان عظم منزلته وأن ما أتى به عظيم يجب الإيمان به والانقياد له، وقوله: "**عَبْدِ الله**" ثم قوله: "**وَرَسُولِهِ**" إشارة إلى أنه جامع بين اتصافه بكمال العبودية وجمال الرسالة، وإشعار بأنه كامل مكمل وأنه داع للخلق إلى العبادة التي خلقوا لأجلها وإيماء إلى التعريض بالنصارى في غلوهم في حق نبيهم وقولهم أن المسيح هو ابن الله؛ لأن حكم الرسل كلهم واحد من كونهم عبادًا لله، وقدّم ذكر "**عَبْدِ الله**" على "**رَسُولِهِ**" ليصير من باب الترقي، ولأن العبودية لله تعالي أقرب طرق العباد إليه. وبدون إفراط أو تفريط قال: "**إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ**" أي من تعظمه الروم وتقدّمه عليها، وفيه عدول عن ذكره بالملك أو الإمارة، فلم يقل: ملك الروم؛ لأنه لا مُلك له ولا لغيره إلا بحكم دين الإسلام،

---

[1] – اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان: ٢/ ٢٥٦. حيث وردت الرسالة ضمن حديث طويل رواه الشيخان عن ابن عباس (ﷺ) من حديث ابي سفيان قال: (حدثني ابو سفيان من فيه...) رقم الحديث (١٦٢) من كتاب الجهاد– باب كتاب النبي (ﷺ) إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام. وفتح الباري: ١/ ٤٢، رقم الحديث (٧) كتاب بدء الوحي، وصحيح مسلم: ١٣٩٣/٣رقم الحديث (١٧٧٣) كتاب الجهاد. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت– لبنان.

ولا سلطان لأحد إلا من ولّاه رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– أو ولّاه من أذن له، ولم يقل إلى هرقل فقط، بل أتى بنوع من الملاطفة فقال: "**عَظِيمِ الرُّومِ**" أي الذي يعظمونه ويقدمونه وقد أمر الله تعالى بإلانة القول لمن يُدعى إلى الاسلام فقال تعالى: " ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ.." النحل:١٢٥. وقال تعالى: " فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى " طه:٤٤. وغير ذلك.[١]

وقوله: " **سَلَامٌ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى**" ومعناه: سلم من عذاب الله من أسلم، ولأنه لم يسلم فليس هو ممن اتبع الهدى، وليس المراد به التحية وإن كان اللفظ يُشعِر به ويكون المراد الدعاء لمن يتبع الهدى، أو تكون متضمنة معنى الأمر وكأنه يقول: اتبع الهدى ليكون لك السلام والأمن والأمان، وتومئ إلى أن من لم يتبع الهدى ولم يؤمن فلا سلام ولا أمان له، وهي مستمدة من القرآن الكريم حيث كان من جملة ما قاله سيدنا موسى– عليه السلام– وأخوه لفرعون: " وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى" طه:٤٧. ونكّر قوله: "**سَلَامٌ**" لكثرته وعظمته وليعم ويشمل كل من آمن واتبع هدى الله الذي أرسل به الهادي.

وبعد أن حياهم في مفتتح رسالته جاء بمضمونها بقوله: " **أَمَّا بَعْدُ: فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الْإِسْلَامِ**" أي: بدعوته، وهو كناية عن الشهادتين أي: شهادة أن لا إله إلاّ الله وأن محمدًا رسول الله، والباء بمعنى إلى، أي أدعوك إلى الإسلام. وهو خبر مؤكد بأكثر من مؤكد تضمن معنى الأمر للترقيق في

---

[١] – ينظر فتح الباري: ٣٧/١، وإرشاد الساري:٧٩/١. المؤلف: أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين (المتوفى: ٩٢٣هـ)، الناشر: المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، الطبعة: السابعة، ١٣٢٣هـ.

القول واللين لمن يُدعى للإسلام، أي: آمرك بكلمة التوحيد فهي شعار الإسلام ودعواه التي يدعى إليها الأمم.

وإسناد الفعل "**أَدْعُو**" إلى ضمير النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– إعلاء لشأن هذه الدعوة، وحسن استدعاء للمدعو وحثٌّ له على الإجابة، فالذي يدعوه هو أكرم الخلق – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– بنفسه.

وقوله: "**أَسْلِمْ تَسْلَمْ، وَأَسْلِمْ يُؤْتِكَ الله أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ**" من جوامع كلمه – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وهو في غاية الإيجاز والبلاغة وجمع المعاني، مع ما فيه من بديع التجنيس فإن "**تَسْلَمْ**" شامل لسلامته من خزي الدنيا بالحرب والسبي والقتل وأخذ الذراري والأموال ومن عذاب الآخرة، وفيه بشارة لمن دخل في الإسلام عامة أنه يسلم من الآفات، وأن ذلك لا يختص بهرقل وحده، وكذا قوله: " **يُؤْتِكَ الله أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ**" فهو عام في حق من كان مؤمنًا بنبيه ثم آمن بمحمد – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وقوله: " **وَأَسْلِمْ يُؤْتِكَ الله أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ**" بتكرار "**أَسْلِمْ**" فيحتمل التأكيد، ويحتمل أن يكون الأمر الأول للدخول في الإسلام والثاني للدوام عليه، كما في قوله تعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ.." النساء:١٣٦. وهو موافق لقوله تعالى: " أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا .." القصص:٥٤.، وإعطاؤه الأجر مرتين لكونه كان مؤمنًا بنبيه ثم آمن بمحمد –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويحتمل أن يكون تضعيف الأجر له من جهة إسلامه ومن جهة أن إسلامه يكون سببًا لدخول أتباعه، ويحتمل أن يكون قوله: "**أَسْلِمْ**" أولًا أي: لا تعتقد في المسيح ما تعتقده النصارى، و"**أَسْلِمْ**" ثانيًا أي: ادخل في دين الإسلام، ويجوز أن يتعلق قوله: "**مَرَّتَيْنِ**" بتسلم أيضا على طريق التنازع أي تسلم مرة في الدنيا من القتل أو أخذ الجزية ومرة من

عقاب العقبى، وتكرير أسلم مبالغة وإيذانًا بشفقته وحرصه على إسلامه لكونه سبب إسلام خلق كثير وفيه نفع كبير. ولم يصرح في الكتاب بدعائه إلى الشهادة للنبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– بالرسالة لكن ذلك منطو في قوله: " **سَلَامٌ عَلَى مَن اتَّبَعَ الْهُدَى**"، وفي قوله: "**أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الْإِسْلَامِ**"، وفي قوله: "**أَسْلِمْ**" فإن جميع ذلك يتضمن الإقرار بالشهادتين. وهو سلام وأمان وأجر متجدد ومستمر دلّ عليه مضارعية الصيغة في (**تَسْلَمْ** و **يُؤْتِكَ**)[1].

والوصل بين الجملتين "**أَسْلِمْ تَسْلَمْ، وَأَسْلِمْ يُؤْتِكَ اللهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ**" يبين أن أجر الإسلام وفوائده لا تقتصر فقط على السلامة في الدنيا وإنما تتعدى إلى الآخرة بأن يوفى أجره مضاعفًا، وحسن الوصل اتحاد المسند في الجملتين. وقد عقبت الجملتان ببيان علة الأمر بالإسلام وهو السلامة وإعطاء الأجر مرتين، وهذا أقوى في إثبات المعنى وأبلغ في الحثّ على الإسلام، فإثبات الشيء معللًا كما يقول العلوي –رحمه الله– "آكد في النفس من إثباته مجردًا عن التعليل"[2]

وبعد هذا الوعد بمضاعفة الأجر إن أسلم وآمن واتبع النبي وما أنزل عليه جاء بالوعيد والتخويف وبما يقابله بهذا الشرط: "**فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَعَلَيْكَ إِثْمُ**

---

[1] – ينظر فتح الباري:٣٨/١، وإرشاد الساري:١١٤/٥، ومرقاة المفاتيح:٧٨/١. المؤلف: علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (المتوفى: ١٠١٤هـ)، الناشر: دار الفكر، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م.

٢ – الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز:٧٦/٣، ليحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلويّ الطالبي الملقب بالمؤيد بالله (المتوفى: ٧٤٥هـ)، الناشر: المكتبة العنصرية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ.

الْأَرِيسِيِّينَ" [1] أي: فإن توليت أي: أعرضت عن الإجابة والدخول في الإسلام، ويقول الراغب: "والتولي قد يكون بالجسم وقد يكون بترك الإصغاء والائتمار" [2] ففيها استعارة تبعية حيث شبه عدم استجابته لدعوة النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– له وعدم إيمانه، بمن يعرض بوجهه وجسده عن الشيء بجامع الإعراض في كل، وقد صورت الاستعارة هذا المعنى وأبرزته في صورة الشيء المحس، وبينت هول وقبح من لم يستجب للإيمان بنفسه وجعلته في صورة من أصر على غيه وعناده وكان سببًا في صدّ غيره بتوليه وإعراضه.

والمعني: إن لم تدخل في الإسلام فلا تحل بين الفلاحين وبين الإسلام، والمراد بالفلاحين أهل مملكته؛ لأن كل من كان يزرع فهو عند العرب فلاح سواء كان يلي ذلك بنفسه أو بغيره. وقيل: الأجراء، وقيل: الخدم والخول؛ لصده إياهم عن الدين. قال الخطابي: أراد إن عليك إثم الضعفاء والأتباع إذا لم يسلموا تقليدًا له؛ لأن الأصاغر أتباع الأكابر. وقيل: كان أهل السواد أهل فلاحة وكانوا مجوسًا، وأهل الروم أهل صناعة، فاعلموا بأنهم وإن كانوا أهل كتاب بأن عليهم إن لم يؤمنوا من الإثم مثل إثم المجوس الذين لا كتاب لهم، وفي الكلام إيجاز حذف دل المعنى عليه وهو: فإن عليك مع إثمك إثم الأريسيين؛ لأنه إذا كان عليه إثم الأتباع بسبب أنهم تبعوه على استمرار الكفر فلأن يكون عليه إثم نفسه أولى، وهذا يعد من مفهوم الموافقة.

---

[1] – الأريسيين: هو جمع أريسي وهو منسوب إلى أريس بوزن فعيل، وقال ابن سيده الأريس الأكار أي الفلاح، وقيل: الأريس هو الأمير وقيل في تفسيره غير ذلك .. ينظر فتح الباري:١/٣٨.

[2] – المفردات: (ولي).

وتقديم لفظ "**عَلَيْكَ**" مفيد للحصر أي: ليس إثمهم إلا عليك، مبالغة في تحمّل الإثم، ولا يعارض بقوله تعالى: "**وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى**" الزمر:٧. لأن وزر الإثم لا يتحمله غيره، ولكن الفاعل المتسبب والمتلبس بالسيئات يتحمل من جهتين جهة فعله وجهة تسببه.[١]

وفي أسلوب القصر زيادة حثّ على الدخول في الإسلام، حتى لا يتحمل إثمهم ووزرهم، ومعلوم ما للقصر من منزلة عالية في تأكيد المعاني، ولذا يقول أستاذنا الدكتور/صبّاح دراز: "ومن الواضح أننا لو رتبنا أساليب التوكيد وأدواته ترتيبًا تصاعديًا حسب قوة التأكيد لكان القصر قمة وغاية، وذلك أنه توكيد فوق توكيد؛ لأنه يشتمل على جملتين، فهو تركيز شديد في الأسلوب"[٢]

وفي قوله: " **الْأَرِيسِيِّينَ**" مجاز مرسل علاقته الجزئية حيث عبر بالفلاحين المزارعين وأراد جميع رعاياه وكل من هم تحت حكمه، فإن لم يؤمن تحمّل إثم عدم إيمانهم. وعبر بالأريسيين لأنهم أغلب أهل مملكته، وأسرع انقيادًا فإذا أسلم أسلموا وإذا امتنع امتنعوا.

وقد تقال " **الْأَرِيسِيِّينَ**" للتابع والمتبوع والمعنى في الحديث صالح على الرأيين، فإن كان المراد التابع فالمعنى: إن عليك مثل إثم التابع لك على ترك الدخول في الإسلام، وإن كان المراد المتبوع فكأنه قال: فإن عليك إثم

---

١ – ينظر فتح الباري: ٣٨/١.

٢ – أساليب القصر في القرآن الكريم وأسرارها البلاغية: ٩، د/ صبّاح دراز، مطبعة الأمانة، الطبعة الأولى.

المتبوعين، وإثم المتبوعين يضاعف بحسب ما وقع لهم من عدم الإذعان إلى الحق من إضلال أتباعهم.[1]

وحرصًا على إيمانهم، وإشارة إلى شيء من زيغ أهل الكتابين عن حقيقة إسلام الوجه لله ناداهم بقوله: "**يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ**" وفيه نوع من التلطف واللين في القول، حيث طلب منهم الاجتماع على كلمة سواء، وقد جعلت الكلمة المجتمع عليها بمنزلة المكان المراد الاجتماع عنده. والمراد بالكلمة هنا الكلام الوجيز حيث جاء بيانها وتفسيرها بعد ذلك، ففيها مجاز مرسل، علاقته الجزئية، وكأنه يشير بذلك إلى أن النجاة والأمن والأمان لهم في الدنيا والآخرة متوقف على شيء قليل وهو أساس وأصل يتوقف عليه ما بعده. وقوله: "**أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِن دُونِ اللهِ**" بيان لتلك الكلمة وتوضيح لها وقد تمكن في قلوبهم أيما تمكن، وقد جاء في هذه المجادلة بحجة لا يجدون عنها موئلًا وهو دعوتهم إلى تخصيص الله بالعبادة ونبذ عقيدة إشراك غيره في الإلهية.

وفيه تعريض باليهود والنصارى في قولهم كما أخبر القرآن: " وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ" التوبة:٣٠. وتعريض بمن أطاعوا أحبارهم فيما أحدثوه من التحريم والتحليل. فقد روي أنه لما نزلت " اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ" التوبة:٣١، قال عدي بن حاتم:

[1] – ينظر المرجع السابق:٨/٢٢١.

ما كنا نعبدهم يا رسول الله، قال: أليس كانوا يحلون لكم ويحرمون فتأخذون بقولهم؟ قال: نعم. قال: هو ذاك.[1]

وجاء توجيه الخطاب للمسلمين بقوله: " **فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ**" أي: فإن تولوا عن الكلمة السواء فأشهدوهم أنكم منقادون إليها، وهذا مبالغة في المباينة لهم، أي: إذا كنتم متولين عن هذه الكلمة، فإنا قابلون لها ومطيعون. وعبر عن العلم بالشهادة على سبيل المبالغة، إذ خرج ذلك من حيز المعقول إلى حيز المشهود، وهو المحضر في الحس. وهذا أمر بإعلام بمخالفتهم ومواجهتهم بذلك، وإشهادهم على معنى التوبيخ والتهديد، أي سترون أنتم أيها المتولون عاقبة توليكم كيف يكون. فقد لزمتكم الحجة، فوجب عليكم أن تعترفوا وتسلموا بأنا مسلمون دونكم، وهذا كما يقول الغالب للمغلوب في جدال أو صراع، أو غيرهما: اعترف بأني أنا الغالب، وسلم لي الغلبة، ويجوز أن يكون من باب التعريض، ومعناه: اشهدوا واعترفوا بأنكم كافرون حيث توليتم عن الحق بعد ظهوره.[2]

والحكمة في تخصيص هذه الآية بالإرسال إلى هرقل دون غيرها من الآي أنه نصراني، والنصارى جمعت هذه الأمور الثلاثة عبدوا غير الله وهو عيسى، وأشركوا بالله فقالوا إنه ثالث ثلاثة، واتخذوا الأحبار والرهبان أربابًا من دون الله، وقد اشتملت هذه الجمل القليلة التي تضمنها هذا الكتاب على الأمر بقوله: "**أَسْلِمْ**" والترغيب بقوله: "**تَسْلَمْ**" "**وَيُؤْتِكَ**" والزجر بقوله " **فَإِنْ**

---

[1] – الكشاف:١/٣٧١.

[2] – ينظر تفسير البحر المحيط:٢/٥٠٨. المؤلف: محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، تحقيق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود – الشيخ علي محمد معوض، دار النشر : دار الكتب العلمية – لبنان/ بيروت، ط١– ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م.

تَوَلَّيْتَ" والترهيب بقوله: "**فَعَلَيْكَ**" والدلالة بقوله: " **يَا أَهْلَ الْكِتَابِ**" وفي هذا من البلاغة ما لا يخفى، وكيف لا وهو كلام من أُوتي جوامع الكلم-صلى الله عليه و سلم.[1]

¤ ¤ ¤ ¤ ¤

ثالثًا: رسالته ﷺ إلى كسرى عظيم فارس. [2]

قال ابن سعد: "بعث رسول الله- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عبد الله بن حذافة السهمي ﷺ إلى كسرى يدعوه إلى الإسلام وكتب معه كتابًا، قال عبد الله: فدفعت إليه كتاب رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ، فقرئ عليه، فأخذه فمزقه، فلما بلغ ذلك رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال:" اللَّهُمَّ مَزِّقْ مُلْكَهُ". [3]

---

[1] – ينظر المرجع السابق:٣٨/١، وشرح البخاري للسفيري:٢٦٨/١. المؤلف: شمس الدين محمد بن عمر بن أحمد السفيري الشافعي (المتوفى: ٩٥٦هـ)، حققه وخرج أحاديثه: أحمد فتحي عبد الرحمن، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.

٢ – كِسرى بن هرمز عظيم الفرس في العراق وحواليها، وكل من ملك الفرس يقال له: كسرى، وهو الذي ملك المنذر على العرب، وهو الذي قصده سيف بن ذي يزن يستنصره على الحبشة، فبعث معه قائدًا من قواده في جند من الديلم، فافتتحوا اليمن، ونفوا السودان منها، وأقاموا هناك.. ينظر تهذيب الأسماء واللغات:٦٧/٢. المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

[3] – ينظر كتاب الطبقات – ابن سعد: ١/ ٢٢٣، وكتاب الأموال: ص٢٨، وتاريخ الطبري: ٦٥٤/٢، ونهاية الارب في فنون الأدب النويري: ١٨/ ١٦٣. وتاريخ ==

وكان نصه:

"بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرحيم، من محمد رسول الله إِلَى كِسْرَى عَظِيمِ فَارِسٍ، سَلامُ اللَّهِ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى وَآمَنَ بالله وَرَسُولِهِ، وَشَهِدَ أَنَّ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَدْعُوكَ بِدَاعِيَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَإِنِّي أنا رَسُولُ اللَّهِ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً لأُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ، فَأَسْلِم تَسْلَمْ، فَإِنْ أَبَيْتَ، فَإِنَّ إِثْمَ الْمَجُوسِ عَلَيْكَ" [1]

افتتحت هذه الرسالة بالبسملة ثم بيان المرسِل والمرسَل إليه: "**بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِن مُحَمَّدٍ رسول الله إِلَى كِسْرَى عَظِيمِ فَارِسٍ**" أي: هذا المكتوب من محمد، ففيها إيجاز بالحذف إسراعًا لبيان حقيقة المرسِل ليكون أقرب للاتباع، وقوله: "**رسول الله**" إشارة إلى أنه مرسل من عند الله، وقوله: "**إِلَى كِسْرَى عَظِيمِ فَارِسٍ**" أي من تعظمه فارس وتقدّمه عليها، وفيه عدول عن ذكره بالملك أو الإمارة، فلم يقل: ملك فارس؛ لأنه لا مُلك له ولا لغيره إلا بحكم دين الإسلام، ولا سلطان لأحد إلا من ولّاه رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– أو ولّاه من أذن له، ولم يقل إلى كسرى فقط، بل أتى بنوع من الملاطفة فقال: "**عَظِيمِ فَارِسٍ**" أي الذي يعظمونه ويقدمونه إلانة له في القول علّه يسلم.

==

الإسلام: ٢/ ٥٠٩، وإمتاع الأسماع: ١/ ٣٤٠، والسيرة الحلبية: ٣/ ٢٤٧. تأليف: الحلبي، الإمام علي بن برهان الدين(ت ١٠٤٤هـ)، دار الفكر – بيروت – لبنان.

[1] – ينظر تاريخ الطبري:٢/٦٥٤. وزاد المعاد: ٣/ ٦٠١، وصبح الاعشى: ٦/ ٢٩٦. ومجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة: الوثيقة (٥٣) ص١١٠، ومنهاج الصالحين: ص٧٦٧، والرحيق المختوم: ص٣٠٧، ودبلوماسية النبي محمد (ﷺ): ص٢١٤.

وقوله: "**سَلامُ اللَّهِ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى وَآمَنَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَشَهِدَ أَنَّ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ**" حيث جاءت الجملة دعائية اسمية لتدل على أن هذا السلام والأمان ثابت ودائم لكل من اتبع هداه وآمن بعبده ومصطفاه، وقوله: " **عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى**" قيد فيه ضرب من الدقة والاحتياط في التسليم ، كما يقول أستاذنا الدكتور أبو موسى: فهو سلام وعافية ودعاء لمن اتبع الهدى، ورسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– لا يدعو بالخلاص والنجاة من الشر والعيوب إلا لمن آمن بالله الذي يدعوه له، أو كان على شيء من الحق في معتقده، ولهذا لم يوجه السلام هنا إلى كسرى، وإنما جعله سلاما لمن اتبع الهدى، وبهذا تكون الرسالة قد بدأت رسالة مؤنسة ثم احتاطت في التعبير، فلم تطلب من الله السلامة لمن كفروا به، وفي هذا إغراء للمخاطب باتباع الهدى ليكون من بين أهل السلام والبراءة والخلاص من الشرور والآفات، وهي مُلَوِّحة من وجه آخر إلى أنه لا أمان ولا سلام ولا نجاة لمن حاد عن الهدى أو عاداه، وكأن هذه الطريقة في الصياغة تَطْوي وراءها وعدًا ووعيدًا وإغراءً وتحذيرًا، ووراء كل هذا اعتداد وثقة بالغلبة، وأن صاحب هذه الرسالة حين يؤكد أن السلام والأمان والنجاة لمن سلك طريق الدين الذي يدعو إليه، وأن الويل والثبور لمن عاند فإن هذا لا يصدر إلا عن فضل اعتداد وإحساس مستحكم بالنصر والغلبة وخصوصا حين يوجه مثل هذا الخطاب لمن هو في منزلة كسرى عظيم فارس.. [1]

والتعريف في الهدى يعم ويشمل الرسل السابقين وما جاءوا به، وكذا الإيمان بالنبي الخاتم' ففيه إبهام وإجمال، ولذا جاء البيان والتفصيل

[1] – ينظر شرح أحاديث من صحيح البخاري:٤٦١.

والتخصيص بقوله: "**وَآمَنَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَشَهِدَ أَنَّ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ**" فلابد من الإيمان بالله وبرسوله الخاتم، فهذا هو الهدى الكامل، والإيضاح بعد الإبهام أو التفصيل بعد الإجمال طريق من طرق التشويق إلى المعنى في الحديث النبوي وتهيئة المخاطب لتلقيه، والغرض منه أن يتأكد المعنى لدى السامع وأن يقر بداخله، لأنه من الأمور المهمة التي تحتاج إلى تأكيد وتثبيت ليشتد الحرص على امتثالها وإجابتها.[1] ويأتي التخصيص بعد التخصيص والتأكيد بعد التأكيد. فجعل الإيمان بالله ورسوله أمرين متلازمين لا يصح الإيمان ولا يكتمل إلا بهما، وعطف عليهما ما يؤكد مضمونهما ويزيد في بيانه، فلا بد من الشهادة بوحدانية الله ونفي الشرك عنه وقد أكدَّها بهذا القصر الحقيقي التحقيقي، وزاد في تأكيد وحدانيته بقوله: " **وَحْدَهُ**، وقوله: **لا شَرِيكَ لَهُ**" وعطف على ذلك وأكده ببيان رسوله بقوله: "**وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ**" وفي هذا تشريف وتكريم للنبي فالإيمان به قرين الإيمان بالله تعالى، والتعبير بـ "**عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ**" إشارة إلى أنه جامع بين اتصافه بكمال العبودية وجمال الرسالة، وإشعار بأنه كامل مكمل وأنه داع الخلق إلى عبادة الله وحده. وكل هذا موجه لكسرى وأهل فارس عبدة النار والذي يعدون كسراهم متصفا بصفات الإله، وأنهم أعلى وأفضل من بقية البشر، وفي هذا تعريض بهم فإذا كانوا يظنون ذلك في أنفسهم فالعرب لهم منزلة عظيمة وشرف وفضل – أيضًا– فالله قد بعث منهم رسلًا وأنبياء وشرفهم بخاتم الأنبياء والمرسلين فهم يعلونهم.

---

١ – ينظر التشويق في الحديث النبوي – طرقه وأغراضه:٥٦، د/بسيوني عبد الفتاح فيود، مطبعة الحسين الإسلامية، ط١، ١٩٩٣م.

وبيّن الغرض من هذه الرسالة بقوله: " **وَأَدْعُوكَ بِدَاعِيَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ**" فليس له من الأمر شيء فما هو إلا مبلغ عن الله تعالى، فهو كما ذكر سابقًا عبد الله ورسوله، وإذا كان كذلك فما يجب على المتلقي إلا التفكير في الأمر والتأمل فيه، فهو لا يطلب شيئًا لنفسه، ولم يأت بشيء من عنده، وإنما هو يدعوه بدعاء الله وعبادته لا غير. وهذه العبارة توحي بطرف خفي أنهم على ضلال مبين وما يجب عليهم إلا اتباعه فيما يبلغ عن ربه، فكسرى ليس إلهًا وإنما هو عبد من عباد الله عليه أن يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله، والنار التي يعبدونها ليست هي المعبود وإنما المعبود بحق هو الله تعالى.

وأتبع ذلك ببيان علّة قيامه بهذه المهمة بقوله: " **فَإِنِّي أنا رَسُولُ اللَّهِ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً**" فهو إنما يفعل ذلك لأنه مرسل من عند الله للناس كافة، تأكيدًا على عالمية هذا الدين، وإيضاحًا لما أبهم في قوله: "**دَاعِيَةِ اللَّهِ**" وهو بذلك يؤكد ويكرر الأصل الذي ذكره سابقًا من الإيمان به وأنه عبد الله ورسوله، وبما أن المقام مقام إنكار فقد أكّد الجملة بأكثر من مؤكد ليتناسب مع قوة هذا الإنكار، حيث أكّد بـ "**إنّ**، والضمير المنفصل **(أنا)**، واسمية الجملة، والتعبير بـ **(كافة)**"

ويأتي الترغيب والترهيب في قوله: "**لِأُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ**" بهذا التصوير العجيب الذي صور المؤمن صاحب العقل الواعي والقلب المتدبر والذي هداه ذلك للإيمان بالله ورسوله في صورة الكائن الحي الذي يتأثر بما حوله ويستجيب لعوامل الحياة والنجاة من الهلكة، وقد صورت هذه الاستعارة هذا الأمر وأبرزته في صورة الشيء المحس ليكون أقرب للإدراك فالنفس مفطورة على المحسوسات، وكأن من لم يستجب لنداء

الله ورسوله ويؤمن بما جاء به فهو بمنزلة الميت الذي لا يتأثر بما حوله ولا يستجيب لداعي حياته وفي هذا تعريض بمن لم يؤمن فهم كالأموات لا انتفاع لهم بعقولهم، ومن ثمّ يستحق الجزاء من الله تعالى ولذا قرنه ووصله بما قبله بقوله: "**وَيِحِقُّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ**" فمن كان له قلب يعقل يزداد حياة باتباع النبي فيسعد في دنياه وفي أخراه، ومن صدّ عن اتباعه ولم يؤمن بما جاء به كان ميتا ويحق عليه القول من الله تعالى، حيث جعل الكفر مقابل الحياة، فالكفر موت، وهم لكفرهم وهوان حجتهم كالأموات حقيقة، وما جعل استحقاقهم العذاب إلا بعد إرسال الرسل إليهم وإنذارهم فلا عذر لهم عند الله تعالى.

وقوله: "**فَأَسْلِمْ تَسْلَمْ**" نصٌّ على المراد، وهما كلمتان تمثلان جملتين الأولى طلبية فعلها أمر وهي قوله: "**أَسْلِمْ**"، والثانية: " **تَسْلَمْ**" جملة جواب شرط محذوف والتقدير: فإن تُسْلِمْ تسلَم، فالسلامة مشروطة بالإسلام ومقيدة به، فإذا لم يتحقق الإسلام فليس لك سلامة، وتكون بذلك عرضت نفسك وملكك للضياع والدمار. وهذا الجناس يعطي الأسلوب جرسًا يبعث على الاستجابة للأمر وإمالة نفس السامع للمراد. والوعد والوعيد في هذا الكلام موجه إلى كسرى توجيهًا مباشرًا، فهو الراعي وبإسلامه تسلم رعيته، ويسلم من خزي الدنيا بالحرب والسبي والقتل وأخذ الذراري والأموال ومن عذاب الآخرة، وفيه بشارة لمن دخل في الإسلام عامة أنه يسلم من الآفات، بخلاف قوله: "**لِأُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيِحِقُّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ**" فإن الترغيب والترهيب فيه عامَّان لكل من له عقل يعقل به وقلب يتدبر. [1]

[1] – ينظر شرح أحاديث من صحيح البخاري:٤٦٩.

وحمّله تبعة قومه إن لم يؤمن؛ وذلك بحجبه تلك الدعوة وحيلولته دون أن يتعرفوا على طبيعة هذا الدين العظيم وما أعده الله لمن يتبعه وذلك بقوله: "**فَإِنْ أَبَيْتَ، فَإِنَّ إِثْمَ الْمَجُوسِ عَلَيْكَ**" وقد جاء هذا الشرط مبينًا المصير والجزاء إذا ظل على عناده وشركه وقد أكّد الجزاء بأكثر من مؤكد تهديدًا وتخويفًا وتحذيرًا، ولا شك فإن هذا الشرط وما سبقه يحمل تهديدًا ووعيدًا، وهذه الشدة والخشونة في الكلام يتطلبها المقام وحال المخاطب والذي فيه شدة وغلظة فلابد وأن يقابل بالمثل، فهو الذي مزّق الكتاب ومن ثمّ استحق دعاء النبي عليه.

وبالتأمل في هذه الرسالة يتضح أنه لم يرد فيها ذكر "**وَأَسْلِمْ يُؤْتِكَ اللهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ**" كالرسالة السابقة واللاحقة، ولعل ذلك ليتناسب مع ما عرف عن كسرى من كره وعداء للإسلام ولرسوله، فتناسب معه القوة في الأسلوب، ومن ثمَّ لم ترد معه هذه الجملة الترغيبية في الرسالة المرسلة إليه، ولا أدلّ على غلظته وفظاظته من تمزيق رسالته.

ولننظر إلى مدى رقي النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في خطابه وذلك في قوله: " **وَأَدْعُوكَ بِدَاعِيَةِ اللَّهِ، فَإِنْ أَبَيْتَ**" لتترك للمخاطب حرية التفكير والاختيار، وعليه أن يختار القرار المناسب والمقنع له، ولكنه الغرور وحاشية السوء والذي جعله يمزّق الكتاب لطغيانه وتجبره فاستحق بذلك دعاء النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عليه.

فقد كان رسول الله يعلم تكبره وصلفه، ويعلم أن أقوى البراهين إقناعًا لا يقابل منه بغير الغضب والاستعلاء، ولكنه ملزم بتبليغه "إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ" الشورى:٤٨. فلابد أن تصل إليه رسالته وليجاهر إليه بدعوته، وليسمعه شيئًا

مـن القـرآن، وليحملـه وزر المجـوس إن أبـى، كـل ذلـك فـي أسـطر قليلـة، وعبارات موجزة اتسم بها بيانه – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. (١)

¤ ¤ ¤ ¤ ¤

رابعًا: رسالته ﷺ إلى الْمُقَوْقِسِ عَظِيمِ الْقِبْطِ. (٢)

ذَكَرَ الْوَاقِدِيُّ أَنَّ النَّبِيَّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– كَتَبَ إِلَى الْمُقَوْقِسِ، مَعَ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ " بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: مِنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ إِلَى الْمُقَوْقِسِ عَظِيمِ الْقِبْطِ، سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى، أَمَّا بَعْدُ: فَإِنِّي أَدْعُوك بِدَاعِيَةِ الْإِسْلَامِ، أَسْلِمْ تَسْلَمْ، وَأَسْلِمْ يُؤْتِك اللَّهُ أَجْرَك مَرَّتَيْنِ، فَإِنْ تَوَلَّيْت فَإِنَّ عَلَيْك إثْمَ الْقِبْطِ "يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ. " (٣)

---

١ – ينظر البيان النبوي:١١٤.

٢ – المقوقس هو لقب واسمه جريج بن مينا بن قرقب أمير القبط بمصر من قبل ملك الروم، وإهداء المقوقس إلى رسول الله –صلى الله عليه وسلم وقبوله هديته مشهور عند أهل السير والفتوح، لم يسلم وما زال نصرانيا ومنه فتح المسلمون مصر في خلافة عمر بن الخطاب –رضي الله عنه. ينظر الإصابة:٦/٣٧٥. المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط١ – ١٤١٥ هـ.

٣ – ينظر نصب الراية:٤/٤٢٢. وعيون الأثر:٢/٣٣٢. وتاريخ الطبري: ٢/ ٦٥٦، وزاد المعاد: ٣/ ٦٠٤، وصبح الأعشى: ٦/ ٣٧٨، السيرة الحلبية: ٣/ ٢٤٩،

كبقية الرسائل جاءت هذه الرسالة مفتتحة بالبسملة وبيان المرسِل والمرسَل إليه: "**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ إِلَى الْمُقَوْقِسِ عَظِيمِ الْقِبْطِ،** " أي: هذا المكتوب من محمد، ففيها إيجاز بالحذف لبيان حقيقة المرسِل ليكون أقرب للاتباع، وفيها التأكيد على أنه "**مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ**" وليس ابنًا لله أو أنه إله ولعلّ في ذلك تأكيد على أن الأنبياء كلهم عباد لله من لدن آدم- عليه السلام- وحتى محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فقد يكون المقوقس من المغالين في القول إن عيسى – عليه السلام- إله أو أنه ابن الله فجاء ذلك تأكيدًا على أن الأنبياء عباد لله، وفي ذلك تعريض به، أو التقدير: من محمد سلام بتقديم المسند لبيان عظم منزلته وأن ما أتى به عظيم يجب الإيمان به والانقياد له.

وقوله: " **إِلَى الْمُقَوْقِسِ عَظِيمِ الْقِبْطِ** " أي: من تعظمه القبط وتقدّمه عليها، وفيه عدول عن ذكره بالملك أو الإمارة، فلم يقل: ملك القبط؛ لأنه لا مُلك له ولا لغيره إلا بحكم دين الإسلام، ولا سلطان لأحد إلا من ولّاه رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أو ولّاه من أذن له، ولم يقل إلى المقوقس فقط، بل أتى بنوع من الملاطفة والملاينة فقال: "**عَظِيمِ الْقِبْطِ**" أي الذي يعظمونه ويقدمونه وقد أمر الله تعالى بإلانة القول لمن يُدعَى إلى الاسلام فقال تعالى: " ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ.." النحل:١٢٥. وقال تعالى: " فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى " طه:٤٤.

وقوله: " **سَلَامٌ عَلَى مَن اتَّبَعَ الْهُدَى**" معناه: سلم من عذاب الله من أسلم، والمراد الدعاء لمن يتبع الهدى، أو تكون متضمنة معنى الأمر وكأنه يقول: اتبع الهدى ليكون لك السلام والأمن والأمان، وتومئ إلى أن من لم يتبع الهدى ولم يؤمن فلا سلام ولا أمان له، وهي مستمدة من القرآن الكريم

حيث كان من جملة ما قاله سيدنا موسى- عليه السلام- وأخوه لفرعون: " وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى" طه:٤٧. ونكّر قوله: "**سَلَامٌ**" لكثرته وعظمته وليعم ويشمل كل من آمن واتبع هدى الله الذي أرسل به الهادي.

وبعد أن حياهم في مفتتح رسالته جاء بمضمونها بقوله: " **أَمَّا بَعْدُ: فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الْإِسْلَامِ**" أي: بدعوته، وهو كناية عن الشهادتين أي: شهادة أن لا إله إلاّ الله وأن محمدًا رسول الله، والباء بمعنى إلى، أي أدعوك إلى الإسلام. وهو خبر مؤكد بأكثر من مؤكد تضمن معنى الأمر للترقيق في القول واللين لمن يُدعى للإسلام، أي: آمرك بكلمة التوحيد فهي شعار الإسلام ودعواه التي يدعى إليها الأمم.

إن الحرص الشديد لدى أبلغ البلغاء – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- على مراعاة مقتضى الحال، جعل رسائله نوعًا من الإبلاغ الرسمي يسد الحاجة في دقة وإحكام، وهو بعد لا يغفل عقلية المرسل إليه ولا اتجاهه الديني ولا واقعه السياسي، وذلك ما لابد منه لدى الكاتب الحصيف، الذي يتعمد إصابة الهدف في يقظة وإتقان. [١]

ويتأنق الجناس بين الأمر "**أَسْلِمْ**" وجوابه "**تَسْلَمْ**" في قوله: "**أَسْلِمْ تَسْلَمْ، وَأَسْلِمْ يُؤْتِكَ الله أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ**" وذلك في بيان العاقبة الحسنة للإسلام، وهي السلامة والأمان في الدنيا والآخرة، وقد أضفى هذا الجناس على الأسلوب روعة وعلى المعنى تمكينًا وتوكيدًا، وهذا من جوامع كلمه – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وهو في غاية الإيجاز والبلاغة وجمع المعاني، مع ما فيه من بديع التجنيس، فإن "**تَسْلَمْ**" شامل لسلامته من خزي الدنيا ومن عذاب الآخرة،

[١] – ينظر البيان النبوي:١١٣.

وفيه بشارة لمن دخل في الإسلام عامة أنه يسلم من الآفات، وأن ذلك لا يختص بالمقوقس وحده، وكذا قوله: " **يُؤْتِكَ اللهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ**" فهو عام في حق من كان مؤمنًا بنبيه ثم آمن بمحمد – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وقوله: " **وَأَسْلِمْ يُؤْتِكَ اللهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ**" بتكرار "**أَسْلِمْ**" فيحتمل التأكيد، ويحتمل أن يكون الأمر الأول للدخول في الإسلام والثاني للدوام عليه، كما في قوله تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ.." النساء:١٣٦. وهو موافق لقوله تعالى: " أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا.." القصص:٥٤.، وإعطاؤه الأجر مرتين لكونه كان مؤمنًا بنبيه ثم آمن بمحمد –صلى الله عليه و سلم، ويحتمل أن يكون تضعيف الأجر له من جهة إسلامه ومن جهة أن إسلامه يكون سببًا لدخول أتباعه، ويحتمل أن يكون قوله: "**أَسْلِمْ**" أولًا أي: لا تعتقد في المسيح ما تعتقده النصارى، و"**أَسْلِمْ**" ثانيًا أي: ادخل في دين الإسلام، ويجوز أن يتعلق قوله: " **مَرَّتَيْنِ**" بتسلم أيضًا على طريق التنازع أي تسلم مرة في الدنيا من القتل أو أخذ الجزية ومرة من عقاب العقبى وتكرير أسلم مبالغة وإيذانًا بشفقته وحرصه على إسلامه لكونه سبب إسلام خلق كثير وفيه نفع كبير. وقال الحافظ: ويحتمل أن يكون تعدد أجره لكونه لم يعاند كما عاند غيره ممن أضله الله على علم فحصل له الأجر الثاني بمجاهدته نفسه على مخالفة أنظاره. ولم يصرح في الكتاب بدعائه إلى الشهادة للنبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– بالرسالة؛ لأن ذلك منطو في قوله: " **سَلَامٌ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى**"، وفي قوله: "**أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الْإِسْلَامِ**"، وفي قوله: "**أَسْلِمْ**" فإن جميع ذلك يتضمن الإقرار بالشهادتين. وهو سلام وأمان وأجر متجدد ومستمر دلّ عليه مضارعية الصيغة في (**تَسْلَمْ** و **يُؤْتِكَ**).[1]

[1] – ينظر فتح الباري:١/٣٨، ٦/١٤٦، وإرشاد الساري:٥/١١٤، ومرقاة ==

وبعد هذا الوعد بمضاعفة الأجر إن أسلم وآمن واتبع النبي وما أنزل عليه جاء بالوعيد والتخويف وبما يقابله بهذا الشرط: " **فَإِنْ تَوَلَّيْت فَإِنَّ عَلَيْك إثْمَ الْقِبْطِ** " [1] أي: فإن توليت أي: أعرضت عن الإجابة والدخول في الإسلام، ويقول الراغب: "والتولي قد يكون بالجسم وقد يكون بترك الإصغاء والائتمار" [2] ففيها استعارة تبعية حيث شبه عدم استجابته لدعوة النبي له وعدم إيمانه، بمن يعرض بوجهه وجسده عن الشيء بجامع الإعراض في كل، وقد صورت الاستعارة هذا المعنى وأبرزته في صورة الشيء المحس، وبينت هول وقبح من لم يستجب للإيمان بنفسه وجعلته في صورة من أصر على غيه وعناده وكان سببًا في صدّ غيره بتوليه وإعراضه.

وفي الكلام إيجاز حذف دل المعنى عليه وهو: فإن عليك مع إثمك إثم القبط، وقد أكّده بأكثر من مؤكد حيث أكّد بـ **إنَّ** وبتقديم لفظ "**عَلَيْكَ**" المفيدة للحصر أي: ليس إثمهم إلا عليك، مبالغة في تحمّل الإثم، ولا يعارض بقوله تعالى: "**وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى**" الزمر:٧. لأن وزر الإثم لا يتحمله غيره، ولكن الفاعل المتسبب والمتلبس بالسيئات يتحمل من جهتين جهة فعله وجهة تسببه. [3]

==

المفاتيح:٦١/١٢.

[1] – القبط: الْقِبْطُ بِالْكَسْرِ نَصَارَى مِصْرَ الْوَاحِدُ قِبْطِيٌّ عَلَى الْقِيَاسِ. المصباح المنير: (قبط). المؤلف: أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو ٧٧٠هـ)، الناشر: المكتبة العلمية – بيروت.

[2] – المفردات: (ولي).

[3] – ينظر فتح الباري: ٣٨/١.

وفي قوله: " **الْقِبْطِ**" مجاز مرسل علاقته الجزئية حيث عبر بالنصارى وأراد جميع رعاياه وكل من هم تحت حكمه، فإن لم يؤمن تحمّل إثم عدم إيمانهم. وعبر بالقبط لأنهم أغلب أهل مصر.

وحرصًا على إيمانهم، وإشارة إلى شيء من زيغ أهل الكتابين عن حقيقة إسلام الوجه لله ناداهم بقوله: "**يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ**" وفيه نوع من التلطف واللين في القول، حيث طلب منهم الاجتماع على كلمة سواء، وقد جعلت الكلمة المجتمع عليها بمنزلة المكان المراد الاجتماع عنده. والمراد بالكلمة هنا الكلام الوجيز حيث جاء بيانها وتفسيرها بعد ذلك، ففيها مجاز مرسل، علاقته الجزئية، وكأنه يشير بذلك إلى أن النجاة والأمن والأمان لهم في الدنيا والآخرة متوقف على شيء قليل وهو أساس وأصل يتوقف عليه ما بعده. وقوله: "**أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِن دُونِ اللهِ**" بيان لتلك الكلمة وتوضيح لها وقد تمكن في قلوبهم أيما تمكن، وقد جاء في هذه المجادلة بحجة لا يجدون عنها موئلًا وهي دعوتهم إلى تخصيص الله بالعبادة ونبذ عقيدة إشراك غيره في الإلهية.

وقد اشتملت هذه الجمل القليلة التي تضمنها هذا الكتاب على الأمر بقوله: "**أَسْلِمْ**" والترغيب بقوله: "**تَسْلَمْ**" "**وَيُؤْتِكَ**" والزجر بقوله " **فَإِنْ تَوَلَّيْتَ**" والترهيب بقوله: "**فَعَلَيْكَ**" والدلالة بقوله: " **يَا أَهْلَ الْكِتَابِ**" وفي هذا من البلاغة ما لا يخفى، وكيف لا وهو كلام من أُوتي جوامع الكلم-صلى الله

عليه و سلم– ومما يلحظ في هذه الرسالة توالي أساليب الشرط لتأكيد المعنى المراد.[١]

وبالتأمل في الحديث بمجمله تجده قد اشتمل على ترغيب وترهيب يدفعه نحو الامتثال واتباع مضمون الرسالة، فالترهيب والترغيب " من الأساليب البلاغية التي تعمق الإحساس بالأشياء، وتزيد النفوس بصرًا بالحقائق، وذلك لأنها تختص بالجمع بين الأشياء المتناقضة"[٢]، وهذا فضلًا عن إثارتهما للنفوس من خلال إبراز المحببات والمرغبات في جانب الترغيب، وفي المقابل إبراز العقاب في جانب الترهيب، وهما من الوسائل التي تعطي الأسلوب قدرة على الإيقاظ، ويصير الحس معها كأنه مستنفرًا مثارًا حين يحس بما وراء هذه المتناقضات من صراعات وتجاذبات، وهو يثب على قممها المتناقضة، وفي هذا تأكيد للمعنى المراد.[٣]

١ – ينظر المرجع السابق:٣٨/١، شرح البخاري للسفيري:٢٦٨/١.

٢ – التحبير:١٤٨، د/ محمود توفيق سعد، مكتبة العمروسي، القاهرة.

٣ – ينظر قراءة في الأدب القديم:٢٨٨، د/ محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة.

موازنة:

- افتتحت الرسائل بالبسملة، وتلاها ذكر طرفيها وكان النبي يذكر اسمه قبل الطرف الآخر مما يوحي بعظمته ورفعته وأنه مؤيد من خالقه، وكان يصف اسمه بالرسالة كما في رسالته للنجاشي وكسرى أو العبودية كما في رسالته للمقوقس أو بهما معًا كما في رسالته لهرقل.

- اتفقت هذه الرسائل في وصف من أرسلت إليهم بما يليق بهم دون مغالاة في الوصف وذلك بما يتناسب مع كل منهم، وكذا في دعوتهم إلى وحدانية الله وعدم الإشراك به.

- في رسالته للنجاشي لم يقل عظيم الحبشة مثل بقية الرسائل التي أرسلت لغيره من الملوك بل قال (ملك الحبشة) لما رأى من علامات قرب إسلامه وهدايته ولحسن صنيعه مع الصحابة الذين هاجروا إليه، ويحتمل علمه ذلك بطريق الوحي.

- جاء في رسالته لكسرى " **أسلم تسلم**" ولم يقل: **يؤتك الله أجرك مرتين** كما ورد في رسالته لهرقل والمقوقس وذلك لأنه مجوسي لا كتاب له فهو من عبَدة النار.

- تكاد كل عبارة في رسالة كسرى تحمل وعيدا وتهديدا إذا لم يؤمن؛ لأنه مجوسي ولأن فارس كانوا يتعصبون بشدة لانتمائهم العرقي، ويعدون العرق الفارسي أعلى من بقية البشر، ومع ذلك يُطلَب منه في الرسالة أن يكون تابعًا للنبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولذا كانت تضمر التهديد والوعيد في عباراتها وذلك بخلاف ما ورد في رسالته للنجاشي حيث لم يذكر التهديد إلا حينما ذكر الجنود الذين لم يسلموا.

- جاء في رسالة هرقل: "**سلام على من اتبع الهدي**" والهدي اسم جامع للإيمان بالله ورسوله وما أنزل إليه، وهو كتابي قد قرأ الكتب السابقة، بخلاف رسالته لكسرى حيث جاء فيها: " **سَلامُ اللَّهِ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى وَآمَنَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَشَهِدَ أَنَّ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ**" ففيها تصريح وتفصيل وبيان لما أجمل، فالمخاطب غير عربي لم يقرأ الكتب المنزلة السابقة فجاءت الألفاظ فيها سهولة ويسر وتفصيل لبيان المعنى المراد حتى لا يكون هناك احتمال أو لبس.

- تشابهت رسالة هرقل والمقوقس في المضمون والشكل إلا في بعض الفروق الطفيفة وذلك لأنهما من أهل الكتاب ويعتقدان المعتقد نفسه ولذا كانت واحدة.

- في رسالة المقوقس ذكر اسم النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **(مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ)** بخلاف رسالته للنجاشي ولكسرى حيث ذكر **(مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ)** ورسالته لهرقل حيث ذكر **(مُحَمَّدٍ عَبْدِ الله وَرَسُولِهِ)** ولعل ذلك لأن المقوقس كان من المغالين في القول بأن عيسى –عليه السلام– ابن الله، فجاء بذكر اسم أبيه للتأكيد على أنه بشر مثل بقية الرسل والأنبياء – عليهم السلام– وهم من عباد الله وليسوا بأبنائه، وكأنّ في هذا ردًّا عليه لادعائه بنوة عيسى –عليه السلام.

- في رسالة كسرى جاء قوله: " **فَإِنْ أَبَيْتَ، فَإِنَّ إِثْمَ الْمَجُوسِ عَلَيْكَ**" حيث عبر بالإباء للدلالة على شدة امتناعه وعنته وعناده وشركه، وهذا بخلاف رسالته للمقوقس: " **فَإِنْ تَوَلَّيْت فَإِنَّ عَلَيْك إثْمَ الْقِبْطِ**" ورسالته إلى هرقل: " **فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَعَلَيْكَ إِثْمُ الْأَرِيسِيِّينَ** "حيث عبر بالتولي وهو كما يقول

الراغب: "والتولي قد يكون بالجسم وقد يكون بترك الإصغاء والائتمار" [1] فهو إعراض أقل وطأة من التولي لما عرف من حال المقوقس وهرقل وتشابههما.

- في رسالة النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– للنصارى كان يتحدث عن حقيقة عيسى –عليه السلام– كما جاء في القرآن الكريم وكان يذكر بعض الآيات التي تتحدث عن ذلك، ويحملهم تبعة عدم إيمان قومهم لأنهم يتبعونهم، وفي المقابل إن آمنوا يؤتون أجرهم مرتين.

- امتازت هذه الرسائل بالسهولة والوضوح والبعد عن الغريب من القول، وجاءت قمة في الإيجاز وقد روعي فيها حال المخاطب.

- كان أثر القرآن واضحًا في هذه الرسائل من ناحية الألفاظ والمعاني، فالقرآن الكريم هو الحجة الدامغة لحسم أي خلاف بالدليل والبرهان، والمعين على توصيل الفكرة خالصة نقية.

---

[1] – المفردات: (ولي).

المبحث الثاني: رسائل النبي ﷺ إلى الملوك والأمراء العرب.

بعد صلح الحديبية بين المسلمين وكفار قريش حيث تم وقف الحرب بين الطرفين كانت الفرصة سانحة لنشر الإسلام والدعوة إلى دين الله تعالى فكانت تلك الرسائل التي أرسلها النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– للملوك والأمراء والتي تبين عالمية هذا الدين، ولم يكتف الإرسال إلى ملوك وأمراء غير عرب فقد أرسل إلى أعوانهم وأمرائهم من العرب، وانتشر الإسلام انتشارًا واسعًا من خلال السفراء الذين أرسلهم النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– ومن خلال رسائله التي تحمل في طياتها الخير والهداية لكل من آمن ومن ذلك..

أولًا: رسالته ﷺ إلى ملكي عمان.

كتب النَّبيُّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– إِلَى جَيْفَرِ وَعَبْدِ ابْنَي الْجُلَنْدِي[1] الأَزْدِيَّيْنِ مَلِكَيْ عُمَانَ مَعَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– : "بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدِ بْنِ عبدِ اللَّهِ، إِلَى جَيْفَرِ وَعبْدِ ابْنَي الْجُلَنْدِيّ، سَلامٌ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى. أَمَّا بَعْدُ: فَإِنِّي أَدْعُوكُمَا بِدِعَايَةِ الإِسْلامِ، أَسْلِمَا تَسْلَمَا، فَإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً، لأُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ، وَإِنَّكُمَا إِنْ أَقْرَرْتُمَا بِالإِسْلامِ وَلَّيْتُكُمَا، وَإِنْ أَبَيْتُمَا أَنْ تُقِرّا

[1] – جيفر بْن الجلندي بْن المستكبر الأزدي العماني كان رئيس أهل عمان هو وأخوه عبد بْن الجلندي، ويتبعان للفرس، أسلما عَلَى يد عمرو بْن العاص لما بعثه رَسُول اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– إِلَى ناحية عمان، ولم يقدما عَلَى النَّبِيّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– ولم يرياه، وكان إسلامهما بعد خيبر. أسد الغابة:١/٥٨١.

بِالإِسْلامِ، فَإِنَّ مُلْكَكُمَا زَائِلٌ عَنْكُمَا، وَخَيْلِي تَحِلُّ بِسَاحَتِكُمَا، وَتَظْهَرُ نُبُوَّتِي عَلَى مُلْكِكُمَا" (١)

افتتحت الرسالة بالبسملة وبيان المرسِل والمرسَل إليه، حيث جاء اسم النبي مجردًا في العنوان: " **بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدِ بْنِ عبدِ اللَّهِ، إِلَى جَيْفَرِ وَعبْدِ ابْنَي الْجُلَنْدِيِّ**" وكذا جاء اسم ملكي عُمَان، لأنهما كانا يتبعان الفرس وهم ولاة على الأراضي التي تتبعهم وليس لهم مطلق التصرف لتبعيتهم لأسيادهم المجوس، وتلا ذلك السلام بقوله: "**سَلامٌ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى**" وهي صيغة تحمل في طياتها التهديد والوعيد لكل من لم يتبع الهدى حيث لا سلام ولا أمان له، وجاء بتنكيره "**سَلامٌ**" ليدلّ بذلك على تعظيمه وشموله لكل من يؤمن، فهو سلام لنفسه من الآفات والقتل ولذريته من السبي ولماله من دفع الجزية وسلام له في الآخرة من عذاب الله. وهذا خطاب الأنبياء لأعداء الله تجد فيه أخلاق المرسلين وثقتهم في نصر الله وما أعده الله للمؤمنين.

والسلام في التحية دعاء لهم، وجاء نكرة على طريقة القوم في أساليب الدعاء -كما يقول أستاذنا الدكتور أبو موسى- فهم يقولون سقيًا لك ورعيًا... وإنما التزموا التنكير في هذا لأن المصادر نابت مناب الأفعال،

---

١ - فتوح البلدان: ٨٤، المؤلف: أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البَلَاذُري (المتوفى: ٢٧٩هـ)، الناشر: دار ومكتبة الهلال- بيروت، عام النشر: ١٩٨٨ م، وعيون الاثر: ٢/ ٢٦٧، زاد المعاد: ٣/ ٦٠٥، وصبح الأعشى: ٦/ ٣٨٠، والسيرة الحلبية: ٣/ ٢٥٣، وحاشية زيني دحلان عليها: ٣/ ٧٣، ومجموعة الوثائق السياسية: الوثيقة (٧٦) ص ١٢٨، والرحيق المختوم: ص٣١١، وكتاب محمد رسول الله: ص٣٤٥، ومنهاج الصالحين:٧٦٧، والسفارات النبوية:١٣٨- ١٣٩.

والأصل أن تكون منصوبة، فقولك: سلام عليك. أصله: سلامًا عليك أي: أسلم عليك سلامًا.. وهذا تقدير ولا يتكلم به، وقد نابت المصادر عن أفعالها، ولا يجمع بين النائب وما أنابوه عنه، ولما كانت الأفعال منكرة جاءت المصادر النائبة عنها نكرات؛ لأن الضرب والأكل في قولك: ضرب وأكل أحداث غير معينة وغير محددة وإنما هي شائعة في جنسها.. ثم إنهم أرادوا في كثير من المصادر نقل الدلالة من الفعلية الدالة على التجدد والحدوث إلى الإسمية الدالة على الثبوت والدوام فقالوا: سلام عليك.[1] أي سلام وأمان الله ثابت لهم ودائم ما داموا على الحق متبعين الهدى.

ويأتي بعد ذلك الغاية من الرسالة فبعد هذه المقدمة وتلك التحية: " **فَإِنِّي أَدْعُوكُمَا بِدِعَايَةِ الإِسْلامِ**" حيث أكد هذا الخبر بأكثر من مؤكد لبيان أهمية وعظم ما يدعوهما إليه، ودعوته لهم متجددة ومستمرة ولا ييأس من دعوتهم وهدايتهم للإسلام رحمة ورأفة بهم أكّد ذلك مضارعية الصيغة في قوله: "**أَدْعُوكُمَا**".

وبهذا التجنيس البديع ومن جوامع كلمه – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– يبين لهما دعوة الإسلام في صورة موجزة بليغة: " **أَسْلِمَا تَسْلَمَا**" فعليهما بالإسلام ليسلما من خزي الدنيا ومن عذاب الآخرة، ومن لم يسلم فلا سلامة له ولا أمان، فهي موحية بالتهديد والوعيد لمن لم يمتثل الأمر.

وبيّن علّة قيامه بهذه المهمة بقوله: " **فَإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً**" تأكيدًا على عالمية هذا الدين، والتعريف بالإضافة في " **رَسُولُ اللَّهِ**" للتشريف والتعظيم، وقد أكّد الخبر بأكثر من مؤكد حيث أكّد بـ " **إنّ**، واسمية الجملة،

[1] – ينظر شرح أحاديث من صحيح البخاري:٤٦٤.

والتعبير بـ **(كافة)**" ليبين أنه مرسل من عند الله للناس كافة، وليس لقومه فقط، ومن ثمّ كانت دعوته لهم للدخول في الإسلام.

وقوله: "**لِّأُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ**" فيه ترغيب لهم في الإيمان به وبرسالته وترهيب من تكذيبه وعدم الإيمان به، وقد جاء ذلك بهذا التصوير العجيب والمقابلة البديعة، حيث صور المؤمن صاحب العقل الواعي والقلب المتدبر والذي هداه ذلك للإيمان بالله ورسوله في صورة الكائن الحي الذي يتأثر بما حوله ويستجيب لعوامل الحياة والنجاة من الهلكة، وقد صورت هذه الاستعارة هذا الأمر وأبرزته في صورة الشيء المحس ليكون أقرب للإدراك فالنفس مفطورة على المحسوسات، وكأن من لم يستجب لنداء الله ورسوله ويؤمن بما جاء به فهو بمنزلة الميت الذي لا يتأثر بما حوله ولا يستجيب لداعي حياته، وفي هذا تعريض بمن لم يؤمن فهم كالأموات لا انتفاع لهم بعقولهم، ومن ثمّ يستحق الجزاء من الله تعالى ولذا قرنه ووصله بما قبله بقوله: "**وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ**" فمن كان له قلب يعقل يزداد حياة باتباع النبي فيسعد في دنياه وفي أخراه، ومن صدّ عن اتباعه ولم يؤمن بما جاء به كان ميتًا ويحق عليه القول من الله تعالى، حيث جعل الكفر مقابل الحياة، فالكفر موت، وهم لكفرهم وهوان حجتهم كالأموات حقيقة، وما جعل استحقاقهم العذاب إلا بعد إرسال الرسل إليهم وإنذارهم فلا عذر لهم عند الله تعالى. وهذا اقتباس من القرآن الكريم يبرز مهمته –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وهي تبليغ دعوة الله وإقامة الحجة على الكافرين المنكرين.

وتأكيدًا لمضمون الصورة السابقة وبيانًا لها دون حاجة لتعريض جاء قوله: " **وَإِنَّكُمَا إِنْ أَقْرَرْتُمَا بِالإِسْلامِ وَلَّيْتُكُمَا، وَإِنْ أَبَيْتُمَا أَنْ تُقِرّا بِالإِسْلامِ، فَإِنَّ مُلْكَكُمَا زَائِلٌ عَنْكُمَا**" بهذا الشرط وتلك الصورة المتقابلة بيّن لهما ترغيبًا

أن توليتهما على قومهما والاحتفاظ بمنزلتهما وحفظ أنفسهما وأموالهما متوقف على إقرارهما بهذا الدين والإيمان به، وفي هذا تشويق لهم وحث على الاستجابة لما يأمرهم به، وفي المقابل إن لم يقرا ولم يؤمنا فلا ملك لهما.

وتأتي المقابلة بين جملتَي: "**إِنْ أَقْرَرْتُمَا بِالإِسْلامِ وَلَّيْتُكُمَا، وَإِنْ أَبَيْتُمَا أَنْ تُقِرّا بِالإِسْلامِ، فَإِنَّ مُلْكَكُمَا زَائِلٌ عَنْكُمَا**" لترسم أمام المتلقي جادّةَ الاتّباع المفضية إلى أمانهم وبقائهم في إمارتهم وولايتهم، وذلك في مقابل جادّة الإعراض المفضية إلى زوالهم وزوال ملكهم وليس هذا فحسب بل سيكون بمحاربتهم والانتصار عليهم مما يوحي بقوته وعظم جيشه وستكون دولتهما تحت لوائه، أكّده قوله: " **وَخَيْلِي تَحِلُّ بِسَاحَتِكُمَا، وَتَظْهَرُ نُبُوَّتِي عَلَى مُلْكِكُمَا**"، وتأتي المقابلة متّسقة في بنائها مع السمة العامة للدعوة النبوية في المراوحة بين أسلوبي الترغيب والترهيب، لذا يمكن القول إن المقابلة إلى جانب ما تحققه من تقوية للمعاني بتقابلها وإبراز ما بينها من تباين، قد مكّنت الخطاب من توظيف عوامل التأثير النفسي اللازمة كأداة من أدوات الإقناع والتأثير في المتلقي، وبالإضافة إلى ذلك كله فإن المقابلة بما تفرضه من توازي الألفاظ وترتيبها في كل سياق مع ما يقابلها في السياق المقابل لها فإنها تنتج إيقاعًا خاصًا بها في السياق، فتنتج أثرًا إيقاعيًا داخليًا خفيًّا، فلو أعدنا النظر إلى هذا السياق مجددًا "**إِنْ أَقْرَرْتُمَا بِالإِسْلامِ وَلَّيْتُكُمَا، وَإِنْ أَبَيْتُمَا أَنْ تُقِرّا بِالإِسْلامِ، فَإِنَّ مُلْكَكُمَا زَائِلٌ عَنْكُمَا**" مع التركيز على ما فيه من إيقاع أنتجته المقابلة، سنجد أن تأثير المقابلة على الخطاب لم يقتصر على الآثار الدلالية والنفسية، بل تجاوز ذلك إلى إنتاج تأثير إيقاعي داخل الخطاب وهذا التأثير الإيقاعي له جانبان: الأول: إيقاع معنوي. يمكن تلمّسه من خلال ملاحظة سيرورة المعاني في سياق تتقابل فيه المعاني المتضادة أو

المتخالفة لتشكل تلوينًا دلاليًا مميزًا، والثاني: إيقاع صوتي موسيقي تنتجه المقابلة في كثير من سياقاتها من خلال وجود كل لفظة مع ما يقابلها في الجملة المضادة، فتنتج المقابلة بذلك إيقاعًا موسيقيًا لم يكن مقصودًا لذاته ولكنه نتاج طبعي لآليات عمل المقابلة وبنيتها المعتادة التي تفترض تقابل المفردات في الجمل.[1]

والتعبير بصيغة الإقرار في قوله: "**أَقْرَرْتُمَا**" فيه إشارة إلى بلوغ الدعوة لهم قبل ذلك وعلمهم بها، وما عليهم إلا أن يقروا بها ويؤمنوا.

وكنّى عن حربهما وغلبته وانتصاره عليهما وإزالة ملكهما إن لم يؤمنا بقوله: " **وَخَيْلِي تَحِلُّ بِسَاحَتِكُمَا، وَتَظْهَرُ نُبُوَّتِي عَلَى مُلْكِكُمَا**" ولا يخفى ما للكناية من دور مهم في إثبات المعاني وتأكيدها، يقول الإمام عبد القاهر مبينًا فضل الكناية: " أن كل عاقل يعلم إذا رجع إلى نفسه، أن إثبات الصفة بإثبات دليلها، وإيجابها بما هو شاهد في وجودها، آكد وأبلغ في الدعوى من أن تجيء إليها فتثبتها هكذا ساذجا غفلا."[2] وفي هذا تأكيد للمعنى، وفيه من التهديد والوعيد ما فيه، فلن يكون لهما تلك المنزلة التي هم عليها الآن، ولن تنفعهم دولتهم التي يتبعونها فكل ذلك سيكون تحت راية الإسلام، ولن ينفعهم كفرهم وعنادهم. والمسلمون في جهاد متجدد ومستمر لأجل نصرة هذا الدين، وتبليغ دعوة الإسلام، ورفع راية التوحيد أكّد ذلك وبيّنه مضارعية الصيغة في " **تَحِلُّ** و **تَظْهَرُ**".

---

١ – ينظر مصادر الإيقاع وآثاره في الرسائل النبوية:٤١٤، لعبد الله محمد الخلف ضمن مجلة دراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية العدد:٣ ج/٢ عام٢٠٢٠م.

٢ – دلائل الإعجاز في علم المعاني:٧٢.

وبالتأمل يتضح التفصيل الكثير في هذه الرسالة من خلال الترغيب والترهيب، وبيان أثر الاستجابة وما ستجلبه لهم من أمن وأمان، وأثر الإعراض وما سيجلبه عليهم من ذل وهوان، وفي هذا حثّ بالغ لهم على الاستجابة والإيمان.

¤ ¤ ¤ ¤ ¤

ثانيًا: رسالته ﷺ إلى أمير اليمامة.

أرسلَ النَّبِيّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– إِلَى هَوْذَةَ بْنِ عَلِيٍّ الْحَنَفِيّ[1] صَاحِبِ الْيَمَامَةِ مَعَ سَلِيطِ بْنِ عُمَرَ الْعَامِرِيُّ: "بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى هَوْذَةَ بْنِ عَلِيٍّ، سَلامٌ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى، وَاعْلَمْ أَنَّ دِينِي سيَظْهَرُ إِلَى مُنْتَهَى الْخُفِّ وَالْحَافِرِ، فَأَسْلِمْ تَسْلَمْ، وَأَجْعَلْ لَكَ مَا تَحْتَ يَدَيْكَ." [2]

جاءت هذه الرسالة موجزة بليغة، وهي عبارة عن كلمات معدودات، روعي فيها مقتضى حال المخاطب، فهوذة صاحب اليمامة نصرانيًا من أهل

---

[1] – هوذة بن علي الحنفي، صاحب اليمامة، وكان عاملًا للفرس عليها، وكان نصرانيا، شاعر قومه وخطيبهم وسيدهم، وكانت له مكانة عند العرب، وقد مات عام الفتح. ينظر المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام:١٨/٤٣٤. المؤلف: الدكتور جواد علي، الناشر: دار الساقي، الطبعة الرابعة ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

[2] – ينظر فتوح البلدان: ص١٠٥، وتاريخ الطبري: ٢/ ٦٤٤، وعيون الأثر: ٢/ ٢٦٩، وزاد المعاد: ٣/ ٦٠٧، والبداية والنهاية: ٤/ ٢٧٣، والسيرة الحلبية:٣/ ٢٥٤، ومجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة: الوثيقة (٦٨– ٦٨/ آ) ص١٢٣، والرحيق المختوم: ص٣١٠، وكتاب محمد رسول الله: ص٣٤٣، ومنهاج الصالحين:٧٦٧، والسفارات النبوية: ص١٣٠.

الكتاب وجاء مفتتح هذه الرسالة بالبسملة حيث يستحب تصدير الكتب وغيرها بها، وبيان المرسِل والمرسَل إليه: **(مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ إِلَى هَوْذَةَ بْنِ عَلِيٍّ)** حيث بيّن صفته –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– بأنه مرسل من عند الله، فهو رسول الله وفي ذلك تشريف وتعظيم له وتربية للمهابة في قلوب المتلقين ونزّل هوذة منزلته وجاء باسمه مجردًا فلم يكن إلا عاملًا للفرس على اليمامة.

وقوله: " **سَلَامٌ عَلَى مَن اتَّبَعَ الْهُدَى**" دعاء لهم ومعناه: سلم من عذاب الله من أسلم، وهي تومئ لهم باتباع الهدى لكي يسلموا، ويحتمل أن تكون متضمنة معنى الأمر وكأنه يقول: اتبع الهدى ليكون لك السلام والأمن والأمان، وفي تنكير قوله: "**سَلَامٌ**" دلالة على عظم هذا السلام وكثرته ليعم ويشمل كل من آمن واتبع هدى الله الذي أرسل به النبي. وفيها نوع من التهديد والوعيد له لأنه لم يتبع الهدى ومن ثمّ لا سلام ولا أمان له ولأتباعه. وأتبع ذلك بوعيد وتهديد أشد وعطفه عليه بقوله: " **وَاعْلَمْ أَنَّ دِينِي سيَظْهَرُ إِلَى مُنْتَهَى الْخُفِّ وَالْحَافِرِ**" والمراد أنه سيصل إلى أقصى ما يصلان إليه، فهو كناية عن وصول هذا الدين إلى أقصى ما يمكن أن تقطعه الإبل والخيل وغيرهما، وقد أكّد له هذا الخبر بأكثر من مؤكد ليؤكد صدقه ويقينه في نصر الله فهو المبلغ عنه وهو رسوله ولذا أضاف الدين إلى ضمير نفسه لأنه مبلغ عن ربه وما ينطق عن هوى.

والناظر في تلك المفردات **(اعْلَمْ ، دِينِي ، سيَظْهَرُ ، مُنْتَهَى ، الْخُفِّ ، الْحَافِرِ)** يجد أن فيها شدة وقوة وتخويف وترهيب، وفي المقابل يأتي الأمن والأمان والطمأنينة في قوله: " **فَأَسْلِمْ تَسْلَمْ، وَأَجْعَلْ لَكَ مَا تَحْتَ يَدَيْكَ.**" والتي وقعت بردًا وسلامًا على قلب هوذة، وبيّنت له المخرج من هذا الخوف

والفزع الذي أحلّ به، وتلك من بلاغته –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– في مواجهة المخاطبين.

وفيها بيان لقوة الإيمان بالمبدأ وبالدعوة التي يدعو إليها النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وهي عبادة الله وحده لا شريك له، وهذا ما أظهرته لغة الخطاب.

وأرشده إلى طريق الخلاص والنجاة والفوز في الدنيا والآخرة وذلك بقوله: "**فَأَسْلِمِ تَسْلَمْ**" فإن أسلم وآمن بالنبي وبما جاء به سلم، فالسلامة مشروطة بالإسلام ومقيدة به، فإذا لم يتحقق الإسلام فليس له سلامة، ويكون بذلك قد عرض نفسه وملكه للضياع والدمار.

وتأتي قيمة الجناس في مثل هذا السياق الموجز لتبين عظم تأثيره في المعنى المراد، فلا يمكن الاستغناء عنه وله مدخل عظيم في بيان المعنى، بل إن محاولة الاستغناء عن أحد طرفي هذا الجناس سيودي بالنص إلى النقص، ويورد الخطاب مورد الاختلال في المعنى، فإذا اكتفى بقوله: "**أَسْلِمِ**". لما جاوز أن يكون قد أرشده إلى الإيمان وعبادة الله وحده لا شريك له دون بيان العاقبة المترتبة على عدم إيمانه واستمراره على شركه وكفره، وكان كمن يطرح أمامه خيارًا إن شاء اختاره بلا بيان عاقبة تبين نتيجة إسلامه واتباعه، وإن شاء انصرف عنه بلا خوفٍ من عاقبة تبين نتيجة تمسكه بكفره وشركه، ولكنّ البيان النبوي حريص على إسلام الناس وهدايتهم إلى طريق الخير الموصل للنجاة في الدنيا والآخرة، والنفس تميل إلى فعل كل شيء يعود عليها بالنفع ولذا جاء الجناس باللفظ الثاني "**تَسْلَمْ**" ليبين ويوضح نتيجة إيمانه واستسلامه لله ولرسوله، وكأن هذا الجناس يضيف مع تناسق إيقاعه الصوتي قوةَ الحجة العقلية وما يتركه من أثر في النفس، حيث يخاطب السمع فيطربه، ويخاطب العقل فيعجبه.

وليس هذا فحسب فمع سلامته من القتل وسبي الذراري ودفع الجزية والآفات فهناك أشياء ترنو لها نفسه وتحرص عليها وقد تمنعه من الإسلام إن فقدها ولذا قال له: "**وَأَجْعَلْ لَكَ مَا تَحْتَ يَدَيْكَ**" كناية عن بقائه في حكم بلاده وتوليته شأن رعيته، وهذا ما يريده بل طلبه من النبي –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– حيث كتب إليه: ما أحسن ما تدعو إليه وأجمله، وأنا شاعر قومي وخطيبهم، والعرب تهاب مكاني فاجعل إليّ بعض الأمر أتبعك، وأجاز سليطا –رضي الله تعالى عنه– بجائزة، وكساه أثوابا من نسج هجر، فقدم بذلك كله على النبي –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فأخبره، وقرأ النبي –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– كتابه، وقال: لَوْ سَأَلَنِي سَيَابَةً مِنَ الأَرْضِ مَا فَعَلْتُ، بَادَ وَبَادَ مَا فِي يَدَيْهِ. أي لو سألني قطعة من الأرض ما فعلت، ودعا عليه بالهلاك، فلما انصرف رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– من الفتح جاءه جبريل – عليه السلام– فأخبره بأن هوذة قد مات، فقال –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أما إن اليمامة سيخرج بها كذاب يتنبأ يقتل بعدي، أي فقال قائل: يا رسول الله من يقتله؟ فقال له رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أنت وأصحابك، فكان كذلك.[1]

¤ ¤ ¤ ¤ ¤

[1] – ينظر السيرة الحلبية:٣/٣٥٦.

ثالثًا: رسالته ﷺ إلى أمير البحرين.

وبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– الْعَلاءَ بْنَ الْحَضْرَمِيّ إِلَى الْمُنْذِرِ بْنِ سَاوَى الْعَبْدِيّ[1] بِالْبَحْرِينِ لِلَيَالِي بَقَيْنَ مِنْ رَجَبٍ سَنَةَ تِسْعٍ، مُنْصَرَفَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ مِنْ تَبُوكَ، وَكَتَبَ إِلَيْهِ كِتَابًا فِيهِ: "بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ، إِلَى الْمُنْذِرِ بْنِ سَاوَى، سَلامٌ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى. أَمَّا بَعْدُ: فَإِنِّي أَدْعُوكَ إِلَى الإِسْلامِ فَأَسْلِمْ تَسْلَمْ، وَأَسْلِمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَكَ مَا تَحْتَ يَدَيْكَ، وَاعْلَمْ أَنَّ دِينِي سَيَظْهَرُ إِلَى مُنْتَهَى الْخُفِّ وَالْحَافِرِ". [2]

تتشابه هذه الرسالة مع رسالته –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– لأمير اليمامة، فصاحبها أيضًا من أهل الكتاب وجاء مفتتح هذه الرسالة بالبسملة وبيان المرسِل والمرسَل إليه: **(مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ إِلَى الْمُنْذِرِ بْنِ سَاوَى)** حيث بيّن صفته –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– بأنه مرسل من عند الله، وجاء باسم الْمُنْذِرِ بْنِ سَاوَى مجردًا ولم يصفه بمَلِك أو عظيم لأنه لا سلطان له ولا ملك ما لم يولّه النبي –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– ولم يكن إلا عاملًا للفرس على البحرين.

---

[1] – هو المنذر بن ساوى العبدي زعيم عبد القيس، وكان نصرانيًا، لكنه اعتنق الإسلام حين دعاه العلاء بن الحضرمي مبعوث النبي إلى البحرين في السنة التاسعة للهجرة، واقتدى قومه به. وتوفي المنذر في السنة التي توفي فيها النبي –صلى الله عليه وسلم. ينظر تاريخ الخلفاء الراشدين:٨٥. المؤلف: د محمد سهيل طقوش، الناشر: دار النفائس، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

[2] – ينظر فتوح البلدان: ص٩٨، وعيون الأثر: ٢/ ٢٦٧، ومجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة: الوثيقة (٥٦) ص١١٢، ومنهاج الصالحين: ص٧٦٨، والسفارات النبوية: ص١٤٨.

وحيّاه ودعا له بقوله: " **سَلَامٌ عَلَى مَن اتَّبَعَ الْهُدَى**" وهي تومئ بالتهديد والوعيد لمن لم يتبع الهدى فلم يؤمن، حيث جعل السلام والأمان لمن آمن. وفي تنكير قوله: "**سَلَامٌ**" دلالة على عظم هذا السلام وكثرته ليعم ويشمل كل من آمن واتبع هدى الله الذي أرسل به النبي. كما أن في التعبير بالماضي "**اتَّبَعَ**" حث وحض له على اتباعه، وكأن اتباعه للهدى قد تحقق فاستحق السلام والأمان.

ويأتي بعد ذلك مضمون الرسالة وغايتها بقوله: " **فَإِنِّي أَدْعُوكَ إِلَى الإِسْلامِ فَأَسْلِمْ تَسْلَمْ**" حيث دعاه للإسلام وللإيمان بما جاء به، وأكد هذا الخبر بأكثر من مؤكد لبيان أهمية وعظم ما يدعوه إليه، ودعوته له متجددة ومستمرة ولا ييأس من دعوته وغيره للإسلام كما أمره ربه، أكّد ذلك مضارعية الصيغة في قوله: "**أَدْعُوك**".

وأرشده إلى طريق الخلاص والنجاة ونتيجة دعوته للإسلام بقوله: "**فَأَسْلِمْ تَسْلَمْ**" فإن أسلم وآمن سلم، وحذف متعلق " **تَسْلَمْ**" ليعم ويشمل سلامته من كل شيء، فإذا لم يتحقق الإسلام فليس له سلامة، ويكون بذلك قد عرض نفسه وملكه للهلاك.

وقوله: " **وَأَسْلِمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَكَ مَا تَحْتَ يَدَيْكَ**" بتكرار "**أَسْلِمْ**" للتأكيد والمبالغة والحرص على إسلامه، كما أن إسلامه سيكون سببًا في إسلام قومه، ويحتمل أن يكون الأمر الأول للدخول في الإسلام والثاني للدوام عليه، ويحتمل أن يكون قوله: "**أَسْلِمْ**" أولًا أي: لا تعتقد في المسيح ما تعتقده النصارى، و"**أَسْلِمْ**" ثانيًا أي: ادخل في دين الإسلام. ولعلمه – صلى الله عليك وسلم– بحرصه على ملكه وزعامته وظنه أن إسلامه سيسلب منه كل

ذلك جعل جواب الأمر قوله: "**يَجْعَلِ اللَّهُ لَكَ مَا تَحْتَ يَدَيْكَ**" كناية عن بقائه في حكم بلاده وتوليته شأن رعيته، والحفاظ على ماله وملكه.

وأتبع ذلك بوعيد وتهديد لكيلا يظن أن بقاءه إن أسلم في ملكه لضعف في المسلمين أو مهادنة بقوله: " **وَاعْلَمْ أَنَّ دِينِي سيَظْهَرُ إِلَى مُنْتَهَى الْخُفِّ وَالْحَافِرِ**" والمراد أنه سيصل إلى أقصى ما يصلان إليه، وجاء الخبر مؤكدًا بأكثر من مؤكد ليؤكد صدقه ويقينه في نصر الله فهو المبلغ عنه وهو رسوله ولذا أضاف الدين إلى ضمير نفسه لأنه مبلغ عن ربه وما ينطق عن هوى. وتقديم الترغيب على الترهيب هنا عكس الموضع السابق من قبيل التنويع، حتى لا تكون الرسائل كلها صورًا متكررة، هذا فضلًا عما فيها من تناسب مع حال المدعو ومدى قبوله أو عداوته للإسلام.

¤ ¤ ¤ ¤ ¤

رابعًا: رسالته ﷺ إلى ملك دمشق.

وَمِمَّنْ كتب إِلَيْهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– من الْمُلُوك الْحَارِث بْنِ أَبِي شِمْرٍ الْغَسَّانِيِّ [1] وجاء في نصه: **بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّد رَسُول اللَّهِ إِلَى**

[1] – هو الحارث بن أبي شمر الغساني صاحب دمشق، وعند ابن هشام: ملك تخوم الشام، وكان تابعا لقيصر ملك الروم بعث إليه النبي – صلى الله عليه وسلم – بكتاب مع شجاع بن وهب الأسدي يدعوه فيه إلى الإسلام، فامتنع من الدخول فيه وأسلم حاجبه، ومات الحارث بن أبي شمر عام الفتح. ينظر السيرة النبوية: ٢٠٧/٢، والطبقات الكبرى:٢٦١/١.

الحَارِثِ بْنِ أَبِي شِمْرٍ سَلامٌ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى وَآمَنَ بِهِ وَصَدَّقَ، وَإِنِّي أَدْعُوكَ إِلَى أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ يَبْقَى لَكَ مُلْكُكَ..[1]

الحَارِث بن أبي شمر الغساني عامل لقيصر على دمشق، وكتب إليه النبي –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– يدعوه للإسلام وافتتح رسالته بالبسملة: "**بِسم الله الرَّحْمَن الرَّحِيم من مُحَمَّد رَسُول الله إِلَى الْحَارِث بْنِ أَبِي شِمْرٍ**" حيث بيّن صفته –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– بأنه رسول الله، وجاء باسم الْحَارِث بن أبي شمر الغساني مجردًا ولم يصفه بمَلِك أو عظيم لأنه تابع لقيصر الروم ولا سلطان له ولا ملك، وكان عاملًا للروم على دمشق.

وقوله: "**سَلَامٌ عَلَى مَن اتَّبَعَ الْهُدَى وآمَنَ بِهِ وَصَدّقَ**" معناه: سلم من عذاب الله من أسلم، والمراد الدعاء لمن يتبع الهدى، أو تكون متضمنة معنى الأمر وكأنه يقول: اتبع الهدى ليكون لك السلام والأمن والأمان، وتومئ إلى أن من لم يتبع الهدى ولم يؤمن فلا سلام ولا أمان له. واتباع الهدى شيء عام ومجمل ولذا عطف عليه تفسيره وبيانه بقوله: "**وآمَنَ بِهِ وَصَدّقَ**" فتأكد المعنى المراد من اتباع الهدى، كما أن في التعبير بالماضي "**اتَّبَع، آمَنَ، صَدّقَ** " حثّ وحضّ له على اتباعه، وكأن اتباعه للهدى قد تحقق فاستحق السلام والأمان. كما يومئ إلى أنه لن يستحق السلام والأمان إلا من تحقق إيمانه وصدقه.

---

[1] – ينظر تاريخ الطبري: ٢/ ٦٥٢، وعيون الأثر: ٢/ ٢٧٠، وزاد المعاد: ٣/ ٦٠٩، والبداية والنهاية: ٤/ ٢٦٨، والسيرة الحلبية: ٣/ ٢٥٥، وحاشية زيني دحلان عليها: ٣/ ٦٧، ومجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة: الوثيقة (٣٧) ص٩٧، والرحيق المختوم: ص٣١١، ومنهاج الصالحين: ص٧٦٦، وكتاب محمد رسول الله: ص٣٣٢، والسفارات النبوية: ص١٢٢.

ويتأنق أسلوب الالتفات من التكلم إلى الغيبة فلم يقل: وآمَنَ بِي وَصَدّقَ. وإنما جاء بضمير الغائب العائد على الهدى لإبراز كمال هداية النبي –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وكأنه هو الهدى نفسه.

ودعاه إلى توحيد الله في العبادة حيث عطف على ما سبق قوله: " **وَإِنِّي أَدْعُوك إِلَى أَن تؤمن بِاللَّه وَحده لَا شريك لَهُ**" فدعاه إلى عبادة الله وحده، وقد أكّد له الخبر بأكثر من مؤكد (إنّ، وتقديم المسند إليه(ضمير المتكلم) على خبره الفعلي (**أَدْعُوكَ**) الذي أفاد تأكيد الخبر واختصاصه –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– بدعوته وفي ذلك تشريف له، كما أن مضارعية الصيغة في قوله: " **أَدْعُوكَ**" تدل على تجدد دعوته –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– له ولقومه بالدخول في الإسلام، وأوثر التعبير بـ أن والفعل: "**أَن تؤمن**" دون المصدر الإيمان ليدل على تجدد واستمرار إيمانه فقد كان نصرانيًا فدعاه للإيمان والاستمرار عليه، وقد أكّد له وحدانية الله بقوله: "**وَحْدَهُ**" وبقوله: "**لَا شَرِيكَ لَهُ**" لتأكيد وحدانية الله ونفي كل ضروب الشرك وأنواعه؛ تأكيدًا لكمال استحقاقه –سبحانه– العبادة دون غيره.

وجزاء ذلك: " **يَبْقَى لَكَ مُلْكُكَ**" أي: يظل ملكًا على قومه حافظًا لنفسه ولجنده ولماله وأرضه وعرضه، وسيكون ذلك له دون غيره، وتقديم الجار والمجرور "**لَكَ**" يؤكد ذلك ويدلّ عليه. كما يوحي بأنه إذا لم يتبع الهدى ولم يؤمن بالله وحده لا شريك له ويصدق بكل ما أنزله على نبيه فلا بقاء له ولا لملكه، وذلك بمفهوم المخالفة، وهذا يتضمن حثًا له على الإيمان والامتثال لما يؤمر به.

¤ ¤ ¤ ¤ ¤

خامسًا: رسالته ﷺ إلى ملوك اليمن.

جاء فِي الطَّبَقَات عَنْ يَزِيدَ بْنِ عياض عَنِ الزُّهْرِيِّ **قَالَ: كَتَبَ رَسُول اللَّهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – إِلَى الْحَارِثِ وَمَسْرُوحٍ وَنُعَيْمِ بْنِ عَبْدِ كُلالٍ مِنْ حِمْيَرَ: سَلْمٌ أَنْتُمْ مَا آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنَّ اللَّهَ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ بَعَثَ مُوسَى بِآيَاتِهِ وَخَلَقَ عِيسَى بِكَلِمَاتِهِ قَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى اللَّهُ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ عِيسَى ابْنُ اللَّهِ.**[1]

ابتدأت الرسالة على غير المعتاد من رسائله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – بقوله: "**سَلْمٌ أَنْتُمْ**" فلم تبدأ بالبسملة وبيان المرسِل والمرسَل إليه، فملوك حمير وهم يمثلون الكثرة الكاثرة في اليمن لما رأوا الإسلام قد غلب في كل أرض الشمال، وتراجعت أمامه جيوش الروم التي كدسوها لغزو الإسلام، واقتلاعه، واقتلاع عز العرب، فعاد جندهم ولم يلاقوا محمدا –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– بعد أن قَتَلت جنودُه مع قلّة عددهم منهم مقتلةً عظيمة، وعادوا بحكمة خالد بن الوليد سالمين لم يفقدوا إلا بضعة عشر رجلا. حينها أدرك ملوك حمير قوة الإسلام منطقًا وعقلًا وحقًا، وأدركوا شوكة الإسلام أمام الرومان فأرسلوا رسلًا إلى النبي –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– يعلنون إسلامهم، ومفارقة الشرك، ومن ثمّ فهم على علم بكل ما يدور حولهم من إرسال هذا النبي وانتشار دعوته، ولم يكونوا في حاجة إلى ذكره، وقد أخبر النبي–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– رسولَه بأنهم سيقبلون ويؤمنون، وأمره بعدة أمور حيث أرسل عياش بن أبي ربيعة المخزومي وقال: إذا جئت أرضهم فلا تدخلن ليلا حتى تصبح

[1] – ينظر كتاب الطبقات لابن سعد: ١/ ٢٤٤، ومجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة: الوثيقة (١٠٧) ص١٧٩.

ثم تطهر فأحسن طهورك وصل ركعتين وسل الله النجاح والقبول واستعذ بالله وخذ كتابي بيمينك وادفعه بيمينك في أيمانهم فإنهم قابلون واقرأ عليهم: "لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ" البينة:١. فإذا فرغت منها فقل آمن محمد وأنا أول المؤمنين. فلن تأتيك حجة إلا دحضت ولا كتاب زخرف إلا ذهب نوره. وهم قارءون عليك فإذا رطنوا فقل ترجموا وَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ.. وقد كتب لهم النبي –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وأعطاهم الأمان والسلام بقوله: "**سَلْمٌ أَنْتُمْ**" وهو دعاء لهم بالسلامة، ونكّر" **سَلْمٌ**" لتعظيم شأن السلام والأمان الذي يكون لهم، وبيان أن ذلك ثابت ودائم لهم، أكّد ذلك اسمية الجملة. وهذا متحقق لهم بشرط: " **مَا آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ**" فإيمانهم بالله ورسوله شرط لسلامتهم من القتال وحفظ لأموالهم وأنفسهم، خاصة وأن النبي –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– يبقي كل من استجاب وآمن على مكانته وإمرته، ما دام عادلا في قومه. كما يوحي بالتهديد والوعيد لهم إن امتنعوا عن الإسلام ولم يؤمنوا بالله ورسوله. [1]

وأكّد وحدانية الله وبيّن حقائق الرسل السابقين بقوله: " **وَأَنَّ اللَّهَ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ بَعَثَ مُوسَى بِآيَاتِهِ وَخَلَقَ عِيسَى بِكَلِمَاتِهِ قَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى اللَّهُ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ عِيسَى ابْنُ اللَّهِ.**" حيث أكد الجملة بأكثر من مؤكِّد، وأكّد وحدانية الله بقوله: " **وَحْدَهُ**، و **لا شَرِيكَ لَهُ**" وأنه أرسل سيدنا موسى – عليه السلام– بتلك المعجزات البينات، وبيّن حقيقة سيدنا عيسى – عليه السلام– بقوله: " **وَخَلَقَ عِيسَى بِكَلِمَاتِهِ**"؛ لأن النصارى غالوا في

[1] – ينظر خاتم النبيين:٩٩٨/٣. والطبقات الكبرى:٢٦٠/١.

تعظيم سيدنا عيسى- عليه السلام- فادعوا أنه ابن الله، وجعلوه ثالث الآلهة. والمعنى أنه وجد بكلمة الله وأمره من غير واسطة ولا نطفة كما قال: " إِنَّ مَثَلَ عِيسى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ قالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ" آل عمران:٥٩، والكلمة هي التكوين، وهو المعبر عنه في الاصطلاح ب (كن). فإطلاق الكلمة على التكوين مجاز، وليس هو بكلمة، ولكنه تعلق القدرة. ولم يكن لتكوينه التأثير الظاهر المعروف في تكوين الأجنة، فكان حدوثه بتعلق القدرة.[1]

وقوله: " **قَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى اللَّهُ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ عِيسَى ابْنُ اللَّهِ.**" تشنيع وتهكم من أهل الكتاب وفعلتهم في قولهم هذا، فهم متساوون مع المشركين في شركهم وكفرهم، فلا فرق بين من يعبد النار أو الصنم من دون الله وبين من يعبد المسيح وغيره من دون الله. وإذا كانت الأحكام القرآنية قد جعلت لأهل الكتاب بعض الامتيازات في التعامل عن المشركين.. فإن ذلك لم يكن مبنيا على أساس أنهم على شيء من دين الله الحق ولكن كان مراعى فيه أن لهم أصلًا من دين وكتاب- وإن كانوا لا يقيمونه- فمن الممكن محاكمتهم إلى هذا الأصل الذي يَدَّعون أنهم عليه! فهم في هذا يفترقون عن المشركين الوثنيين الذين لا كتاب لهم، لأنه ليس لهم من أصل يردون إليه ويمكن محاكمتهم له.. أما تقريرات القرآن عن

---

[1] - ينظر مفاتيح الغيب:٢٧١/١١، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ والتحرير والتنوير: ٥٢/٦. المؤلف: الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع – تونس – ١٩٩٧ م.

حقيقة ما عليه أهل الكتاب من عقيدة ودين، فهي صريحة وحاسمة في أنهم ليسوا على شيء من دين الله بعد ما تركوا كتبهم ودينهم إلى ذلك الذي صنعه لهم أحبارهم ورهبانهم ومجامعهم وكنائسهم! [1]

موازنة:

١-افتتحت جميع الرسائل بالبسملة وبيان المرسل والمرسل إليه ما عدا رسالته -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إلى ملوك حمير ولعل ذلك لخروجهم لقتال المسلمين وقد استطاع المسلمون بقيادة خالد بن الوليد هزيمتهم، وفي ذلك تهديد ووعيد لهم، كما أن كثيرًا منهم ذهبوا يعلنون إسلامهم، ومفارقة الشرك، ومن ثمّ فهم على علم بكل ما يدور حولهم من إرسال هذا النبي وانتشار دعوته.

٢-لم يصف النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- من أرسل إليهم من هؤلاء الأمراء بملك أو عظيم أو غير ذلك بل جاءت أسماؤهم مجردة لأنهم كانوا تابعين للفرس والروم وكانوا عمالا لهم على تلك الدول ولا يملكون الانفراد بالقرار أو الإرادة لأنهم تابعون لغيرهم.

٣-جاءت الرسائل قمة في الإيجاز والبيان، روعي فيها حال المخاطب، وجاءت ألفاظها موحية معبرة عن المراد.

٤-اتفقت هذه الرسائل في دعوتهم إلى التوحيد والإيمان بالنبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وبما جاء به، وبينت أن سلامهم وأمانهم مرهون بإيمانهم.

---

[1] - ينظر في ظلال القرآن:١٦٤٨/٣. المؤلف: سيد قطب إبراهيم حسين (المتوفى: ١٣٨٥هـ)، الناشر: دار الشروق - بيروت- القاهرة، ط١٢ - ١٤١٢ هـ.

٥-بيّنت هذه الرسائل أن دعوة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ستعمّ وتنتشر في شتى بقاع الأرض، وستعمّ دولهم الكبرى التي يتبعونها وفي ذلك تهديد ووعيد لهم وبيان أن تلك الدول لن تستطيع مساعدتهم في الوقوف ضد هذه الدعوة، فكل الدول ستبلغها الدعوة وستظهر نبوة النبي وستكون تحت راية الإسلام.

٦-من وسائل ترغيبهم في الإسلام عرض بقائهم في مناصبهم إن آمنوا، خاصة مع نفوس تحب الزعامة والقيادة والملك، وسيكونون تحت راية الإسلام ولوائه، وذلك بعيدًا عن الدول التي يتبعونها، وهذا حثّ بالغ لهم على استجابتهم وإيمانهم.

الخاتمة.

في روضة من رياض أخلاق النبي –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وحكمته في قيادته وحرصه على تبليغ دعوته عشت في رحاب رسائله للملوك والأمراء يدعوهم فيها للإسلام، والإيمان به وبما جاءه من ربه، وتوحيد الله وعدم الإشراك به، وقد اشتملت تلك الرسائل على سمات وخصائص بلاغية منها:

١- تناسبت كل رسالة من الرسائل النبوية مع مقام المرسل إليه، وذلك من حيث الألفاظ والتراكيب.

٢- جاءت الرسائل النبوية صريحة واضحة المعنى، وامتازت بالإيجاز والدقة في التعبير عن المعنى المراد مع مراعاة مقتضى حال المخاطب. واتسمت بالإقناع والبعد عن التكلف والصنعة.

٣- كان للمحسنات البديعية إضافة إلى تناسق الإيقاع الصوتي قوة الحجة العقلية ومداخل للتأثير النفسي في المخاطب، وكان لها عظيم الأثر في إيصال المعنى الأصلي الذي يريده مرسلُ الرسالة أن يُبلِّغَه لمتلقّيه.

٤- امتازت رسائله إلى الملوك الأعاجم بالاقتباس من القرآن الكريم، خاصة إذا كانوا من أهل الكتاب، فإذا كانوا من النصارى أكثر من ذكر الآيات التي تذكر سيدنا عيسى –عليه السلام– وتبين حقيقته وأنه عبد الله ورسوله وليس إلهًا كما يدَّعون.

٥- كان لحسن اختيار الكلمة في الرسائل النبوية للملوك والأمراء، ومخاطبة ما يجول في نفوسهم عظيم الأثر في قبولهم دعوة النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وإكرام رسوله إلا ما شذّ منهم.

٦- تنوع أسلوب الرسائل النبوية بين الترغيب والترهيب، والوعد والوعيد حملًا للمخاطبين على الاستجابة والامتثال لدعوته – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– لهم.

٧- كان من وسائل ترغيب الملوك والأمراء في الإسلام بيان أن إسلامهم سبب سلامتهم والحفاظ على أنفسهم وأعراضهم وأموالهم، والوعد ببقائهم في مناصبهم خاصة مع نفوس تحب الزعامة والقيادة والملك، وسيكونون تحت راية الإسلام ولوائه، وذلك بعيدًا عن الدول التي يتبعونها الأمراء.

٨- تشابهت صيغة المرسِل والمرسل إليهم في رسائل النبي –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– للملوك والأمراء غير العرب مع بيان تواضع النبي –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– والتأكيد على عبوديته لله تعالى وأنه مرسل من قِبَله، وكان أسلوب الشرط عاملًا مهمًا ووسيلة قوية من وسائل الإقناع بالحسنى واللين " أَسْلِمْ تَسْلَمْ، أَسْلِمْ يُؤْتِكَ الله أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ، فَإِنْ أَبَيْتَ، فَإِنَّ إِثْمَ الْمَجُوسِ عَلَيْكَ، فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَعَلَيْكَ إِثْمُ الْأَرِيسِيِّينَ، فَإِنْ تَوَلَّيْت فَإِنَّ عَلَيْك إِثْمَ الْقِبْطِ".

٩- غلب أسلوب التوكيد في رسائل النبي –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– للملوك والأمراء، فالقوم ينكرون بعثته ورسالته، إلا من كان منهم ملمًا بوصفه في الكتب السابقة، ومنهم من كان مشركًا أو من أهل الكتاب ولكنه اتخذ عيسى –عليه السلام– إلهًا أو جعله ابنًا لله، ومن ثمّ كان التوكيد لمواجهة هذا الإنكار وذاك الضلال.

١٠- تآزرت الألوان البلاغية في الرسائل النبوية لبيان حقيقة دعوة النبي –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– للملوك والأمراء بتوحيد الله وعبادته وأنه عبد الله ورسوله، وجاءت في صورة بديعة، مطابقة لمقتضى الحال والمقام، كاشفة النقاب عما يتحملوه إن أصروا على كفرهم وعنادهم.

١١- قلَّت الصور المجازية في الرسائل النبوية؛ لأن المقام مقام دعوة إلى شريعة واضحة لا تتطلب الولوج إلى عالم الخيال، وجاءت ألفاظها واضحة بينة، مؤكدة على المعنى المراد، بعيدة عن الخيال أو الزينة، وتهدف إلى تمكين حقيقة توحيد الله وعبادته في النفوس.

وبعد...

فهذا هو جهد المقلّ، فإن كنت قد وفقت فلله الفضل والمنة، وإن كان غير ذلك فالله أسأل المغفرة على تقصيري، والسداد والتوفيق في عملي، إنه نعم المولى ونعم النصير.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

فهرس المصادر والمراجع.

- القرآن الكريم.

١- الأدب العربي في الأندلس، لعبد العزيز عتيق، طبعة دار النهضة العربية، بيروت، ط٢- ١٩٧٦م.

٢- إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، المؤلف: أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين (المتوفى: ٩٢٣هـ)، الناشر: المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، الطبعة: السابعة، ١٣٢٣ هـ.

٣- أساليب القصر في القرآن الكريم وأسرارها البلاغية، د/ صبّاح دراز، مطبعة الأمانة، الطبعة الأولى.

٤- أسد الغابة في معرفة الصحابة، تأليف: ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم الجزري المعروف بابن الأثير (ت٦٣٠هـ): (المكتبة الإسلامية- طهران ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٦م).

٥- الأسلوب، المؤلف: أحمد الشايب، الناشر: مكتبة النهضة المصرية، ط١٢-٢٠٠٣م.

٦- الإصابة في تمييز الصحابة، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط١ – ١٤١٥ هـ.

٧- إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع: تأليف: المقريزي، تقي الدين احمد بن علي بن عبد القادر بن محمد

(ت٨٤٥هـ) تحقيق وتعليق محمد عبد الحميد النميسي – منشورات محمد علي بيضون (ط١ دار الكتاب العلمية بيروت لبنان ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م)

٨- البداية والنهاية، تأليف ابن كثير الامام الحافظ ابي الفداء اسماعيل الدمشقي (ت ٧٧٤هـ) حققه ودقق أصوله وعلق حواشيه: علي شري (دار احياء التراث العربي – بيروت لبنان، وط٢ دار الكتب العلمية- بيروت، لبنان ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

٩- البيان النبوي، د/ محمد رجب البيومي، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع بالمنصورة، ط٢، ٢٠٠٢م.

١٠- التحبير، د/ محمود توفيق سعد، مكتبة العمروسي، القاهرة.

١١- تاريخ الخلفاء الراشدين الفتوحات والإنجازات السياسية، المؤلف: د محمد سهيل طقوش، الناشر: دار النفائس، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.

١٢- تاريخ الطبري- تاريخ الرسل والملوك، تأليف الطبري، أبي جعفر محمد بن جرير (ت٣١٠هـ): تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٤ دار المعارف القاهرة- بدون تاريخ)

١٣- التحرير والتنوير، المؤلف: الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع – تونس – ١٩٩٧ م.

١٤- التشويق في الحديث النبوي – طرقه وأغراضه، د/بسيوني عبد الفتاح فيود، مطبعة الحسين الإسلامية، ط١، ١٩٩٣م.

١٥- تفسير البحر المحيط . المؤلف: محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود – الشيخ علي

محمد معوض، دار النشر: دار الكتب العلمية – لبنان/ بيروت، ط١– ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م.

١٦- تهذيب الأسماء واللغات. المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

١٧- جوامع السيرة. المؤلف: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.

١٨- خاتم النبيين، أبو زهرة، الشيخ محمد (ط١ دار الفكر العربي، بيروت– لبنان١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م).

١٩- خصائص التراكيب دارسة تحليلية لمسائل علم المعاني، د/ محمد محمد أبو موسى، ط٧، الناشر/ مكتبة وهبة، القاهرة.

٢٠- دبلوماسية النبي محمد (ﷺ) تأليف الفتلاوي، د. سهيل حسين: دراسة مقارنة بالقانون الدولي المعاصر (ط١، مطبعة دار الفكر العربي بيروت – لبنان ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

٢١- دراسة مفتاحية للرسائل المحمدية، للأستاذ الدكتور/ محمد موسوني، جامعة تلمسان –الجزائر–٢٠١٩م.

٢٢- دلائل الإعجاز لأبي بكر عبد القاهر الجرجاني، ت/محمود محمد شاكر أبو فهر، الناشر: مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة ، ط٣. ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م.

٢٣- الرحيق المختوم– للمباركفوري، صفي الرحمن (الطبعة الشرعية– ط١٧ دار الوفاء للطباعة والنشر– المنصورة، مصر ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م)

٢٤- الرسالة المحمدية، السيد سليمان الندوي الحسيني (المتوفى: ١٣٧٣هـ)، الناشر: دار ابن كثير – دمشق، ط١ – ١٤٢٣ هـ

٢٥- زاد المعاد، تأليف: ابن القيم، شمس الدين ابي عبد الله محمد بن بكر بن أيوب (ت٧٥١هـ)، تحقيق شعيب الارناؤوط وعبد القادر الارناؤوط (ط٤موسسة الرسالة للطباعة والنشر بيروت – لبنان ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م)

٢٦- السفارات النبوية، تأليف المرحوم اللواء الركن محمود شيت خطاب (مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد – العراق، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م).

٢٧- سير أعلام النبلاء، لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م.

٢٨- السيرة الحلبية، تأليف: الحلبي، الإمام علي بن برهان الدين (ت ١٠٤٤هـ) وهو كتاب (إنسان العيون في سيرة الآمين والمأمون- المعروف بالسيرة الحلبية (دار الفكر – بيروت – لبنان- بدون تأريخ)

٢٩- السيرة النبوية كما جاءت في الأحاديث الصحيحة، لمحمد بن حمد الصوياني، الناشر: مكتبة العبيكان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٤ م.

٣٠- السيرة النبوية لابن هشام، المؤلف: عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: ٢١٣هـ)، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، الناشر: شركة مكتبة

ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الثانية، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م.

٣١- السيرة النبوية لأبي الحسن الندوي: علي أبو الحسن بن عبد الحي بن فخر الدين الندوي (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: دار ابن كثير - دمشق، الطبعة: الثانية عشرة - ١٤٢٥ هـ.

٣٢- السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني، لأحمد أحمد غلوش، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٤م.

٣٣- شرح أحاديث من صحيح البخاري دراسة في سمت الكلام الأول، د/ محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، ط٢، ٢٠٠١م.

٣٤- صبح الأعشى في صناعة الإنشا: تأليف القلقشندي، ابي العباس احمد بن علي (٨٢١هـ)، نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية بتصويبات واستدراكات وفهارس تفصيلية مع دراسة وافية (المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر - القاهرة- بدون تاريخ)

٣٥- صحيح مسلم، تأليف الإمام مسلم، أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي (دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، بدون تأريخ)

٣٦- الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، ليحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلويّ الطالبي الملقب بالمؤيد بالله (المتوفى: ٧٤٥هـ)، الناشر: المكتبة العنصرية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ.

٣٧- عالمية الإسلام ورسائل النبي (ص) إلى الملوك والأمراء، د/محمد أمين شاكر الحلواني وغيره، دار القلم، دمشق.

٣٨- عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، تأليف: محمد بن عبد الله بن يحي ابن سيد الناس، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، ١٩٨٦م.

٣٩- فتح الباري شرح صحيح البخاري، لأحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، تحقيق: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، الناشر: دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩هـ.

٤٠- فتح القدير، المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٤ هـ.

٤١- فتوح البلدان، المؤلف: أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البَلَاذُري (المتوفى: ٢٧٩هـ)، الناشر: دار ومكتبة الهلال- بيروت، عام النشر: ١٩٨٨ م.

٤٢- ينظر قراءة في الأدب القديم، د/محمد محمد أبوموسى، مكتبة وهبة، القاهرة.

٤٣- كتاب الأموال: تأليف: ابن سلام الامام الحافظ ابي عبيد القاسم (ت٢٢٤هـ): تحقيق: محمد خليل هراس (ط١ دار الكتب العلمية – بيروت –لبنان، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م)

٤٤- كتاب الطبقات الكبرى: تأليف ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع الزهري (ت ٢٣٠هـ) تحقيق د٠ علي محمد عمر (ط١ مكتبة الخانجي – القاهرة ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م.

٤٥- كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، لمحمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي (المتوفى: بعد ١١٥٨هـ)، تحقيق: د. علي دحروج، الناشر: مكتبة لبنان ناشرون – بيروت، ط١ – ١٩٩٦م.

٤٦- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧ هـ.

٤٧- لسان العرب، تأليف ابن منظور، جمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرم (ت٧١١هـ) (طبعة دار صادر– بيروت بدون تاريخ)

٤٨- اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان، إماما المحدثين: أبو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري وأبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي (دار إحياء التراث العربي– بيروت، لبنان، بدون تأريخ)

٤٩- المجالس الوعظية في شرح أحاديث خير البرية –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– من صحيح الإمام البخاري، المؤلف: شمس الدين محمد بن عمر بن أحمد السفيري الشافعي (المتوفى: ٩٥٦هـ)، حققه وخرج أحاديثه: أحمد فتحي عبد الرحمن، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤ م.

٥٠- مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، لمحمد حميد الله الحيدر آبادي الهندي (المتوفى: ١٤٢٤هـ)، دار النفائس – بيروت، ط٦– ١٤٠٧هـ.

٥١- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، المؤلف: علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (المتوفى: ١٠١٤هـ)، الناشر: دار الفكر، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

٥٢- مصادر الإيقاع وآثاره في الرسائل النبوية، لعبد الله محمد الخلف ضمن مجلة دراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية العدد:٣ ج/٢ عام٢٠٢٠م.

٥٣- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المؤلف: أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو ٧٧٠هـ)، الناشر: المكتبة العلمية – بيروت.

٥٤- المغازي الأولى ومؤلفوها، لهوروفتس، ترجمة: د/حسين نصار، طبعة مكتبة الخانجي، القاهرة.

٥٥- مفاتيح الغيب، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ.

٥٦- المفردات في غريب القرآن، المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى: ٥٠٢هـ)، المحقق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٢ هـ.

٥٧- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، المؤلف: الدكتور جواد علي، الناشر: دار الساقي، الطبعة الرابعة ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

٥٨- نشأة الكتابة الفنية في الأدب العربي، د/حسين نصار، مكتبة الثقافة الدينية، ط١، ٢٠٠٢هـ.

٥٩- نصب الراية- تخريج احاديث الهداية: تأليف الزيلعي، العلامة جمال الدين ابو محمد عبد الله بن يوسف بن محمد بن ايوب بن موسى الحنفي (ت٧٦٢هـ) اعتنى به ايمن صالح شعبان (ط١ دار الحديث القاهرة – مصر، ١٤١٥هـ /١٩٨٥م).

محتويات البحث

الموضـــــــوع
الملخص
المقدمة.
التمهيد
تعريف الرسالة.
أنواع الرسائل.
رسائل النبي –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
رُسُل النبي –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
سمات الرسائل النبوية.
المبحث الأول: رسائل النبيﷺ إلى الملوك والأمراء غير العرب.
أولًا: رسالته ﷺ إلى النجاشي ملك الحبشة.
ثانيًا: رسالته ﷺ إلى هرقل عظيم الروم.
ثالثًا: رسالتهﷺ إلى كسرى عظيم فارس.
رابعًا: رسالتهﷺ إِلَى الْمُقَوْقِسِ عَظِيمِ الْقِبْطِ.

موازنة:
المبحث الثاني: رسائل النبي ﷺ إلى الملوك والأمراء العرب.
أولًا: رسالته ﷺ إلى ملكي عمان.
ثانيًا: رسالته ﷺ إلى أمير اليمامة.
ثالثًا: رسالته ﷺ إلى أمير البحرين.
رابعًا: رسالته ﷺ إلى ملك دمشق.
خامسًا: رسالته ﷺ إلى ملوك اليمن.
موازنة.
الخاتمة.
فهرس المصادر والمراجع.
محتويات البحث.